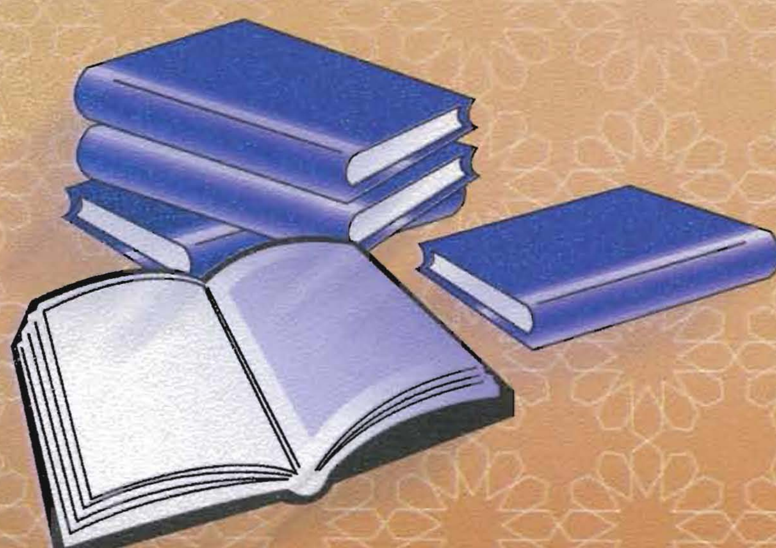
وزارة التربية والتعليم
MINISTRY OF EDUCATION

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم

المطالعة

للصف الأول الثانوي



طبعة ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ
٢٠١٢ - ٢٠١٣م

الفصل الدراسي الثاني

١- من أدب الإسلام *

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ (١) أَن
تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ (٢) فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ (٣)
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ
إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧
فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨ وَإِن طَآئِفَتَانِ
مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ (٤) إِحۡدَىٰهُمَا
عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ (٥) إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ (٦) فَإِن فَآءَتۡ
فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْ (٧) إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ
٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ
عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا
مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ (٨) أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ (٩) بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ
ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١

(*) سورة الحجرات : ٦-١٣.

(١) تثبتوا من صحة الخبر. (٢) بخطأ. (٣) لوقعتم في المشقة والهلاك.

(٤) اعتدت. (٥) ترجع. (٦) حكم الله وشرعه. (٧) اعدلوا.

(٨) لا يعب بعضكم بعضًا. (٩) لا يَدْعُ بعضكم بعضًا بألقاب يكرهها.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ(1) إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ
إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ(2) وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم(3) بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن
يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ(4) وَجَعَلۡنَٰكُمۡ
شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾

أسـئلـة

١- أمرنا الله بالتثبت من خبر الفاسق ، فما ثمرة هذا التثبت ؟ وماذا تكون الحال عند عدم التثبت؟

٢- (الراشدون) أشارت الآيات إليهم ، فمن المقصود بهم؟

٣- أكدت الآيات شرط الإصلاح بين طائفتين ، فما هذا الشرط؟ وكيف جاء تأكيده؟

٤- في هذه الآيات دعوة إلى تحقيق الأخوة بين المؤمنين، فما الآيات الدالة على ذلك؟ وكيف تتحقق هذه الأخوة؟

٥- مما يدل على أن السخرية خلق ذميم أن المسخور به غالبًا خير من الساخر ، أوضِّح ذلك مع الاستشهاد لما أقول بآية وحديث.

٦- نفهم من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ أن المسلمين كالجسد الواحد ، فكيف دلت الآية على ذلك؟

٧- يقول تعالى : ﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾ فكيف تكون التوبة من التنابز بالألقاب؟

---

(١) أي الظن السيِّئ. (٢) لا تبحثوا عن عورات المسلمين.
(٣) لا يذكر بعضكم بعضًا بالسوء في غيابه. (٤) آدم وحواء.

٨- نهى الإسلام عن كثير من الظن ، فلماذا؟

٩- التعارف طريق التآلف والقيام بحقوق الأقارب ، ولأجل هذا التعارف امتنّ اللّه علينا بمنّة ، فما هي؟

تدريبات

١ - (حبّب) يقابلها (كرّه) آتي من الآيات بكلمة أخرى ومقابلها.

٢ - ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ يعدّ هذا أسلوب شرط . أحدد أركانه، وأذكر مماثلًا له من الآيات.

٣ - تكرر في الآيات أسلوب النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ فما الغرض من ذلك؟

٤ - أعرب قوله : ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ﴾ .

٥ - ذكر في الآيات صورة المغتاب ، فما هذه الصورة ؟ وعلام تدل؟

٦ - من معجمي أوضّح معنى الكلمات الآتية : الراشدون ، المقسطون ، القاسطون.

٧ - ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ . خرج الاستفهام في هذه الآية عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر ، فما هو؟

٨ - اجتنبوا الظن ، اتركوا الظن. أي فعلي الأمر أبلغ في تأدية المعنى ؟ ولماذا؟

٢- الهُـدى والعِلـم*

عن أبي موسى الأشعري - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ :

«مثَلُ ما بعثني اللّه به من الهُدَى والعلم كَمَثلِ غَيْثٍ أصاب أرضًا، فكان منها طائفةٌ طيّبةٌ قَبِلَت الماء فأنبتت الكلأَ والعشبَ الكثيرَ ، وكان منها أجادبُ [1] أمسكتِ الماءَ فنَفعَ اللّه تعالى بها الناسَ فشربوا وسقَوْا وزرعوا . وأصابَ طائفةً أخرى ، إنما هي قيعان[2] لا تُمسِك ماءً ، ولا تُنبِت كَلأً . فذلك مثلُ من فقُه[3] في دين اللّه تعالى ، ونفعه ما بعثني اللّه تعالى به ، فعَلِمَ وعلَّمَ ، ومثلُ من لم يرفعْ بذلك رأسًا ، ولم يَقبَلْ هُدَى اللّه الذي أُرْسِلْتُ به».

أسـئـلـة

١- لِمَ ضرب رسول اللّه ﷺ هذا المثل؟

٢- بمَ شبه النبي ﷺ الذين يعرضون عن تقبل ما جاء به من المواعظ والهدى والذين يقبلون عليها ويفيدون منها؟

٣- ما المقصود بهدى اللّه في الحديث؟ أذكرُ دليلي على ذلك.

٤- العالم حقًّا هو الذي يتعلم ويعلِّم غيره . أين هذا المعنى من الحديث الشريف؟

(*) رياض الصالحين، الحديث رقم : ١٣٧٨ .

(١) جمع أجدب : الأراضي المقفرة غير الخصبة.

(٢) جمع قاع : الأراضي المستوية.

(٣) صار فاهمًا لشرع اللّه .

تدريبات

١- لم يرفع رأسه بهدى الله - لم ينفع نفسه بهدى الله . أيّ التعبيرين أجمل ؟ ولماذا؟

٢- آتي بمرادف كل من الكلمات التالية ، ثمَّ أضعه في جمله من عندي : غيث ، طائفة ، أجادب .

٣- أعود إلى المعجم الوسيط ، وأكتب الفرق بين كل من الكلأ والعشب .

٤- (الكلأ - الماء) . لِمَ كتبت الهمزة المتطرفة في الكلمتين بهذه الصورة ؟

٥- الفقه في دين الله له ثمرات في صالح الفرد والمجتمع . أكتب حول مضمون هذه العبارة .

٦- بُنيَ الحديث على تشبيه تمثيلي ، أشرحه ، وأوضح أركانه .

٧- «لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجلٍ آتاه الحكمة فهو يقضي بها ويعلّمها» . أوازن بين ما ورد في هذا الحديث وما ورد في الحديث الذي درسته ، وأربط بينهما .

٣- صحة البيئة في الإسلام

اهتمامُ الإسلام بالنظافة أمرٌ ليسَ له نظيرٌ ، على مرِّ الأزمان والعصور ، وإذا كانت أولُ آيةٍ نزلتْ في القرآن الكريم قد تحدثتْ عنِ العلمِ في قولهِ تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾[١] فقد تلَتْها سورةٌ أمرتْ بالنظافة في قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ ﴾[٢].

والإسلامُ يجعلُ النظافة جزءًا من العباداتِ . ألا ترى أنَّ الدخولَ في الإسلام يُشْرَعُ له الطَّهارةُ والاستحمامُ قبلَ النطقِ بالشهادتين ؟ وهلْ تصحُّ الصلاةُ في أي وقتٍ إلا بالوضوءِ أو التيممِ ؟ إن للاستحمام في الإسلام أسبابًا كثيرةً ، بعضُها واجبٌ ، وبعضُها مُستحبٌّ ، وفي كتبِ الفقه تفصيلٌ لها، ولكي يهتمَّ الناسُ بالنظافة عَبّرَ الإسلامُ عنها بكلمةِ (الطهارةِ).

ومن الأمثلة التي يُسْتَدَلُّ بها على عنايةِ الإسلامِ بالنظافةِ ما يُروَى عن الرسولِ ﷺ أنه قال : «مَنْ توضَّأ فأحسنَ الوضوءَ خرجتْ خطاياهُ من جسدِهِ حتى تخرج من تحتِ أظافرِه».

لقد جاء الإسلامُ في وقتٍ لم يكنِ الناسُ فيه يعرفونَ شيئًا عن أهميةِ النظافةِ في محاربةِ الأمراضِ، ولم يكونوا يعرفون ما الجراثيمُ أو الطفيليّاتُ ، فجاءَ الإسلامُ يرشدهم إليها بعباراتٍ مبسطةٍ، مخاطبًا إياهم على قدرِ معارِفهم وعلومِهم.

وقد ربط الإسلام النظافة بالعقيدة ، وجعلها جزءًا من تعاليم العبادة والصلاة . قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «الطهور شطر[٣] الإيمان».

وبهذا يجعلُ الإسلامُ النظافة سلوكًا مُلزمًا للمسلم في كلِّ أمورِ حياته ، وليستْ لمجرد الخوف من المرضِ وحدهُ . وما أعظمَ أن تكونَ النظافة غاية لذاتِها ، قبل أن تكونَ وسيلةً لمنعِ المرضِ!

---

(١) العلق : ١ . (٢) المدثر : ٤ . (٣) شطر الشيء : نصفه.

وزيادة في الحرص على الطهارة حدّدَ الإسلامُ موادَّ إذا أصابتْ إحداها أي شيءٍ ، مثل ثوب الإنسانِ ، أو جسمهِ ، أو طعامِه ، أو شرابهِ ، أو إناءِ الطعام ... ، أو إذا أصابتِ الماءَ الدائمَ المستعملَ للشربِ أو الوضوء ، ولو كان الماءُ بئرًا أو نحوه ، إنها - بشروط خاصة - تُنجِّسُ هذا الشيء ، ولا يَطْهُر إلا بإزالةِ هذه النجاسةِ ، طعمِها ولونِها ورائحتِها . ومن هذه المواد النجسةِ : الدمُ، والبولُ ، والبرازُ ، والخمرُ ، ولُعابُ الكلبِ ونحوها.

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أقوالٌ كثيرةٌ في النظافةِ ، ومن أمثلَتِها في نظافةِ البدنِ : «حقٌّ على كلِّ مسلم أن يغتسلَ كلَّ سبعةِ أيام يومًا يغسلُ فيه رأسَهُ وجسدهُ» . وفي إزالة البُؤَرِ التي تتجمعُ تحتها القذارةُ في الجسمِ : «خمسٌ في الفطرةِ : الاستحدادُ [1] ، والختانُ ، وقصُّ الشاربِ ، ونتفُ الإبطِ، وتقليم الأظافرِ».

والأيدي من أهم العوامل في نقلِ الجراثيم ، وذلك بعد السلام على المريضِ ، أو لمسِ طعامٍ ملوثٍ، أو أيِّ شيءٍ قذرٍ ، أو بعدَ الذهابِ إلى الغائطِ . وبعضُ الديدانِ تنتقلُ من الشخص المصاب نفسِه ، عند التبرزِ ، إلى يديهِ ، ويختبيء بيضُها تحتَ أظافِره . ومن هناك تنتقلُ إلى الشخصِ السليمِ . ومن هذه الديدان : دودةُ الإكسوريس ، ودودة التِّنْيا.

ومن الجراثيمِ التي تنقلُها اليدُ أيضًا : التيفوئيدُ ، والدوسنتاريا ، والنزلاتُ المعويّةُ ، والتهابُ الكبدِ المعدي . وهذا يوضحُ لنا حكمة قولِ الرسولِ عليه الصلاةُ والسلامُ : «إذا توضأ العبدُ ، فغسلَ يديهِ، خرجت الخطايا من يديهِ ، حتى تخرجُ من تحتِ أظافرِ يديهِ».

ويُعنَى الإسلامُ بنظافة الفم والأسنانِ ، فأمر بالمضمضةِ ، والسِّواكِ وتخليل الأسنانِ ، لإزالةِ بقايا الطعامِ ، وعدم بَلْعِها ، بلْ رميها . وفي السواكِ يقولُ الرسول عليه الصلاة والسلامُ : «السِّوَاكُ مطْهَرةٌ للفمِ ، مرضاةٌ للربِّ».

---

(١) حلق شعر العانة .

وكذلك يُعنى الإسلامُ بنظافةِ الأنفِ والعينينِ والشعرِ والقدمين والملابسِ ، يقولُ الله تباركَ وتعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ (١).

ويحث الإسلام على نظافة الطعامِ والشرابِ ، فيأمُر بنظافة إناءِ الطعامِ ، وغسلِهِ عدة مراتٍ. وكان العربُ لا يعرفون الصابونَ ، فيأمُرُهم الإسلام باستعمال الترابِ في دعكِ الإناءِ ، ثم يأمرُ الإسلامُ بعدم ترك الطعام والشراب مكشوفًا ؛ حتى لا يتعرضَ للغبار أو للترابِ والحشرات ، يقول الرسولُ ﷺ في تغطية الآنيةِ : «أوكوا قِربَكم(٢) ، واذكروا اسمَ الله ، وغطُّوا آنيتكُم ، واذكروا اسم الله » . ولو سمعَ ذلكَ الباعةُ الجائلون والبقّالون وباعةُ الطعامِ ، لبادرُوا إلى وضعِ بضائِعهمْ في آنيةٍ محكمةٍ ، أو عارضاتٍ زجاجيةٍ مغلقةٍ ، ولم ينتظرُوا أوامرَ رجالِ الصّحة المسؤولين .

ومن أهم أنواع النظافةِ ، نظافةُ مصادرِ المياهِ ، كمياهِ الأنهارِ والآبارِ ، فقد شدَّدَ الإسلامُ على تجنب تلويثها بإلقاءِ القاذوراتِ أو النجاسةِ فيها ، ونهَى عن التبرز أو التبولِ في الماءِ أو على شواطِئه . فالماءُ الملوَّثُ ينقلُ الكوليرا والتيفوئيدَ، وشللَ الأطفالِ ، والتهابَ الكبدِ المعدي ، وينقلُ ديدانَ «البلهارسيا» عند التبولِ فيهِ ، وينقلُ «الإنكلستوما» عن طريقِ التبرزِ في الطينِ قربَ الشاطىء.

ولهذه الأسباب يعُدُّ فقهاءُ الإسلام الماءَ الذي يصيبُهُ البولُ أو البَرازُ نجسًا ، لا يجوزُ الوضوءُ منهُ أو الاستحمامُ فيه ، أو الشرابُ منهُ . ومنْ أقوالِ الرسول ﷺ في ذلك : «لا يبولَنَّ أحدكُمْ في الماءِ الدائمِ ، ثم يغتسلُ فيه».

إنَّ البلهارسيا تصيبُ ثمانين في المِئَةِ من سكانِ القرى ، وسببُها الرئيسُ التبولُ في الماءِ عند الوضوءِ أو الاستحمامِ . ولو أدركَ الذينَ يفعلونَ ذلكَ أن التبولَ في الماءِ يُنَجِّسُهُ ، فلا يصلحُ للوضوءِ ، ولا للشربِ، لكانَ ذلك أجدَى في القضاءِ على البلهارسيا في بضعِ سنينَ ، من جهودِ رجالِ الصحةِ في مِئَةِ عامٍ متواليةٍ.

---

(١) الأعراف : ٣١ .   (٢) أوكأ القربة : ربطها .

ويأمرُ الإسلامُ بنظافةِ المساكنِ ، والشوارعِ ، وكلِّ أرجاءِ المدينةِ ، فيمنعُ إلقاءَ القاذوراتِ أو تجميعها في البيوتِ ، أو تركَها في الشوارعِ . ويأمرُ المسلمَ إذا وجدَ شيئًا مُلْقى في الطريقِ أن يُزيحَه ، ويجعلُ ذلك من شُعَبِ الإيمان ، فيقول ﷺ : «الإيمانُ بضع وسبعون شعبةً ، فأفضلُها قول : لا إلهَ إلا اللّٰه ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق» . ويحرِّمُ التبولَ أو التَّغوُّطِ في الطريقِ ، وفي هذا يقولُ الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ : «اتقوا اللَّعانَيْن . قالوا : وما اللَّعانان يا رسولَ اللّٰه ؟ قال : الذي يتخلّى في طريقِ الناسِ أو في ظلِّهم».

ويقول أيضًا : «من سلَّ سخيمته على طريق عامر من طرق المسلمين فعليهِ لعنةُ اللّٰه والملائكةِ والناس أجمعين».

وهكذا نرى الإسلامَ يوجدُ الأسلوبَ العقائدي في الطبِّ الوقائي . وقد طبقَهُ المسلمون قبلَ العالم كلِّه بأربعةَ عشرَ قرنًا.

أسئلة

١ - آتي بأمثلة أستدل بها على عناية الإسلام بالنظافة.

٢ - كيف ربط الإسلام النظافة بالعقيدة؟

٣ - حدد الإسلام أشياء إذا أصابت أيَّ شيءٍ نجَّستهُ ، ووجب تطهيرهُ . أوضِّح ذلك.

٤ - الأيدي من أهم العوامل في نقل الجراثيم . أوضح ذلك مما قرأته.

٥ - أناقش هذه العبارة «حِرصُ الإسلام على نظافة الطعام والشراب».

٦ - لِمَ نهى الرسول الكريم عن الشرب من إناء واحد؟

٧ - يأمر الإسلام بنظافة المساكن والشوارع . أستشهد على ذلك من أقواله ﷺ.

٨ - كيف تنتقل الديدان من الشخص المريض إلى السليم؟

٩ - النظافة غاية أم وسيلة؟

١٠ - كيف أرد على من قال : إن الإسلام لا يهتم بالنظافة ، مستدلين بقول الله : «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، بل ينظر إلى أعمالكم» ؟ وكيف أوفق بين العمل الصالح وحسن المظهر؟

١١ - ما السبب الرئيس لإصابة سكان القرى بالبلهارسيا؟

تدريبات

١ - أنسبُ إلى الكلمات الآتية : إسلام ، دم ، عقيدة ، آدم.

٢ - أصغِّر المفردات الآتية : نهار، شارب ، ماء ، شجرة.

٣ - لماذا مُنِعَتِ الأسماء الآتية من الصرف : عائشة، مساجد؟

٤ - أعرب الجملة التالية إعرابًا كاملًا : إن للاستحمام في الإسلام أسبابًا كثيرة.

٥ - أضبط العبارة الآتية بالشكل : وقد ربط الإسلام النظافة بالعقيدة، وجعلها جزءًا من تعاليم العبادة والصلاة، بل جعلها جزءًا من الإيمان بالله.

٦ - أذكر مرادف الألفاظ الآتية : قذارة ، طهارة، السّليم، الخطايا ، لام ، وباء.

٧ - ما مفرد الكلمات الآتية : الآبار ، شواطىء، البقالون ، الجائلون؟

٨ - أوضِّح معاني المفردات التالية : يُنْتِنُ ، أجدى، أرجاء ، سخيمَته ، عارضات.

٩ - كيف أصوغ اسم الفاعل واسم المفعول من الفعل (زَحْزَحَ)؟

٤- للّه في خلقه شؤون *

حكى ضابط مغامرة له فقال :

طوّحتْ بي الحربُ إلى مجاهلِ إفْريقِيةَ ، فأمضيتُ بها مع جنودي شهورًا ، رأينا من غاباتها ونباتها وحيوانها وطيورِها وصحاريها ما لم نَرَهُ في الأصقاع الشمالية التي قضيتُ بها شبابي، وأقَمْنا في خيامٍ نصبناها في الخلاءِ على مسمع منَ زئير الأسودِ وضجيجِ الأفيالِ ، وفحيح الأفاعي، وخطرِ ذواتِ المخالبِ والأنيابِ ولم نكن نأبَهُ بشيء من ذلك؛ لأننا أحطنَا أنفسنَا بحراسةٍ يقظةٍ قويةٍ، وتَزَوَّدنا بأسلحةٍ فتاكةٍ ندافعُ بها عن أنفسنا ونضمن لها الأمنَ والاطمئنانَ.

غير أن شيئًا واحدًا نغَّص[1] علينا حياتنا ، ولم تفلح في التغلب عليه أسلحتنا ، على الرغم من صغر شأنه وحقارة أمره ، ذلك هو النمل.

ولقد كنت أسمع عنه الكثير من قبل ، وأعلم ما يتصف به من صبر ومثابرة وكفاح ، وما يقدر عليه من بناء القرى ، وإعداد الجيوش، ومحاربة العدو ، وصد المعتدي ، والعمل المتواصل ، والتعاون البناء . ولكن لم يكن يخطر لي ببال أن يصل في إحكام خططه ، وتدبير أموره إلى الحد الذي شاهدته في هذا المكان.

لقد رأيت من النملِ وكفاحه ونظامه ما جعلني أؤمِنُ أن جماعاتِ النملِ تفُوقُ الإنسانَ في كثير من المزايا . رأيتُ النملَ الأبيضَ في هذه المناطق الإفريقية عندَ خطِّ الاستواءِ أكبرَ حجمًا من مثله في المناطقِ الأخرى وأطولَ أرجلًا ، وأشدَّ لَدْغًا . كان يهجُمُ على طعامنا في جرأة وإقدام ، ولا يتركها إلا وقد أتى عليها جميعًا . وإذا نِمْنا أزعجنا وأقضَّ مضاجعنَا[2] بالقرصِ المؤلم والوخز الذي يشبه وخزَ الإبر . وكم حاولنا في الشهورِ الأولى من إقامتنا أن نحميَ أنفسنَا منه فلم نظفَرْ بأي نجاح ، وساعده على الانتصارِ

(*) مترجمة بتصرف . (١) كدر . (٢) أقلق راحتنا في الفراش.

علينا أننا لا نجدُ السُّمَّ الذي يمكن أن نَضَعه في طعامِهِ فيقتُلَه.

وفي أحد أعيادنا بعث إلينا أهلُنا وأصدقاؤنا بهدايا العيدِ من الحلوى والأطعمةِ السكريةِ التي طالت غيبتُها عنا، وهَفَتْ [1] إليها نفوسُنا، وكان نصيبي منها موفورًا . غير أن الذي أفسدَ عليَّ سروري بها، اشتغالُ فكري بالبحث عن مكانٍ أمينٍ أضعها فيه، بعيدًا عن أفواجِ النملِ وغاراتها.

وطال بي التفكير، ثم اهتديتُ بعد جُهْدٍ إلى فكرةٍ ظَنَنْتُ أنها علاجٌ لما نشكو منه ، وهي أن أُخفيَ هذه الحلوى في صندوق أُحْكِمُ إغلاقَه ، وأضَعه فوق عمودٍ قصير أقيمُه وسط إناءٍ كبيرٍ مملوءٍ بالماءِ، فلا يستطيعُ النملُ الوصولَ إليه.

وبذلتُ من الجهدِ أقصاه، وبالغتُ في الاستعدادِ ، فأَحَطْتُ إناء الماءِ بحزامٍ عريضٍ غُمسَ في مادةٍ لزجةٍ إذا لمسه النملُ عَلِقَ فيه ولم يستطع التخلصَ منه.

وما أن انتهيت من هذه التحصينات ، وأعددت تلك الموانع ، حتى صدرت إليَّ الأوامِرُ بأن أخرجَ في رحلةٍ بعيدةٍ قضيتُ فيها يومين. فلما عدتُ شهدتُ عجبًا ، رأيت النملَ وقد غزا صندوقَ الحلوى من البرِّ والبحرِ والجوِّ ، ولم يدعْ فيه قطعةً من الحلوى لم يصلْ إليها ؛ فقد وصلت أفواجه الأولى إلى الحزام الصمغيّ فالتصقت به ولم تستطع منه فِكاكًا [2] ؛ غير أن الأفواجَ التالية اتخذت من أجسامِ الصرعَى المتلاصقةِ جسرًا عبرته إلى الناحية الأخرى ، ثم واصَلتْ سيرَها حتى بلغتِ الماء فعجزتْ عن عبوره وعادتْ إلى الأرضِ لتحملَ في أفواهها قشًّا رفيعًا أخذتْ ترميه فوقَ سطحِ الماء وتصنعُ منه جسرًا تسيرُ فوقه حتى تصلَ إلى العمودِ القائمِ وسطَ الماءِ. وقد نجحت حيلتُها ووصلت إلى العمودِ فقابَلَتِ الحزامَ اللّزجَ الذي يحيط به، ففعلت به ما فعلته في سابقه، واتخذت من أجسامِ القتلى قنطرةً إلى الصندوقِ.

(١) تاقت ومالت . (٢) خلاصًا.

وأعجبُ من ذلك أنها أرسلت كتائب[١] منها تسلقت الخيمة من الداخلِ حتى بلغَتْ سقفَها، واتخذت لنفسها موقِعًا رأسيًّا فوق الصندوق، وأخذت ترتمي عليه واحدةً بعد الأخرى في مهارة ودقة ، ولـم تقفْ في سبيلها الشِّراكُ والموانعُ التي نصبها الإنسانُ في زَهْوٍ وغرورٍ.

واستطرد الضابطُ يقولُ:

وتذكِّرني هذه القصةُ بقصةٍ أخرى وقعتْ معها في اليوم نفسه فقد رافقتُ بعضَ الزملاءِ في نزهةٍ بين الغابِ ونحنُ في سلاحنا الذي حملناه لنحميَ أنفسنا إذا تعرضنا للخطر وبينما نحن نسيرُ صادفتْنا جماعةٌ من القِرَدَةِ الكبيرةِ رابضةً فوق الأشجارِ تصْرُخُ وتملأُ الجوَّ ضجيجًا فما أن رأتنا حتى زادتْ من صُراخها وصخَبها[٢] فخشينَا أن تُثيرَ الوحوشَ الضاريةَ في الغابةِ ورأينا أن نرميَ واحدًا منها بالرصاصِ لِنُشَتِّتَ جمعها فأطلقَ واحدٌ من رفاقي رصاصةً على قرد منها فخرَّ صريعًا وهنا كَفَّت القردةُ عن الصياحِ وخَيَّم على المكان صمتٌ رهيب وانْفضَّت القِردةُ في سكون واستأنفنا سيرنا في خوفٍ وحذر وبعد لحظات رأينا أربعة منها تعود إلى القردِ الصَّريعِ فتحملُه من رجليه ويديه وتَفِرُّ به هاربةً.

وفي اليوم التالي خرجنا للمسيرِ في المكانِ نفسِه، فإذا بثلاثةِ قرودٍ مختبئةٍ في رأسِ شجرةٍ عاليةٍ، فلما رأتنا، وبَصُرَتْ برفيقِنا الذي صَرَعَ واحدًا منها بالأمس ، تعالى صُراخُها ، وملأ الجوَّ عُواؤُها، فاستعد صاحبي لإطلاقِ الرصاصِ عليها، ولكنه لم يستطع لأنَّ المنطقةَ امتلأت بقرودٍ لا عَدَد لها، أقبلت مسرعةً من كلِ ناحيةٍ ، تحملُ كلُّ واحدة منها ثَمرةً صُلبةً من ثمارِ الجوزِ الهنديِّ وأخذتْ تقذفُ صاحبي من كلِّ صوْبٍ[٣] ، وتُسدِّدُ القذائفَ إلى رأسِه وصدره في عنفٍ وسرعةٍ ، ثم هجمتْ عليه فأوقعته على الأرضِ في مفاجأة بارعةٍ وسرعةٍ مدهشةٍ تركتنا في حيرةٍ وذهولٍ ، وكادت القِرَدةُ تفْتِكُ بالرجلِ لولا أننا أسرعنا إلى رصاصنا نطلقه عليها، وإلى عِصيِّنا الغليظةِ نضربُ بها رؤوسها، حتى قُدِّرَ لنا بعد جهدٍ ورعبٍ أن نُفَرِّقَ جموعها، ونخلِّصَ من براثنها رفيقنا.

---

(١) فرقًا . (٢) ضوضائها . (٣) ناحية .

أسـئـلـة

١- ما الذي نغص على الضابط وجنوده حياتهم؟
٢- لِمَ كان الضابط وجنوده غير مبالين بالوحوش الضارية؟
٣- ما الفرق بين النمل في المناطق الأفريقية والمناطق الأخرى؟
٤- لماذا لم يستطع الضابط التغلب على النمل؟
٥- ما الاحتياطات التي اتخذها الضابط للحيلولة بين النمل والحلوى؟
٦- لِمَ أطلق الجندي رصاصة على أحد القرود؟
٧- كيف انتقمت القردة من قاتل أحدها؟
٨- ما الدروس التي يمكن أن أستفيدها من قصتي النمل والقرود؟

تـدريـبـات

١- أذكر معاني المفردات الآتية : طوحت ، الأصقاع ، تأبه، أقضّ ، خَرَّ.
٢- ماذا يطلق على صوت الأفاعي والأسود؟ وماذا تُسَمَّى مثل هذه الأصوات؟
٣- أضبط الفقرتين الثانية والثالثة بالشكل.
٤- ولقد كنت أسمع عنه الكثير من قبل... ولكن لم يكن يخطر لي ببال، أن يصل في إحكام خططه ، وتدبير أموره إلى الحد الذي شاهدته في هذا المكان .
أضبط الأفعال المضارعة المكتوبة بالأزرق ، وأذكر سبب الضبط.
٥- وإذا نِمْنا أزعجنا وأقضّ مضاجعنا بالقرص المؤلم والوخز الذي يشبه وخز الإبر:
أ - أستخدم الفعل (أقضّ) في جملة من إنشائي.
ب - ما موقع جملة «يشبه وخز الإبر» من الإعراب؟

٦ - أضع علامات الترقيم المناسبة فيما ترك من فراغات في الفقرة العاشرة.

٧ - ما الفرق بين كلمتي (الخوف والحذر)؟

٨ - وفي اليوم التالي خرجنا للمسير في المكان نفسه، فإذا بثلاثة قرود مختبئة في رأس شجرة؟

أ - علام يعود الضمير في قوله: (خرجنا)؟

ب - ما معنى (إذا) في قوله فإذا بثلاثة قرود؟

جـ- أضبط كلمة (نفس) بالشكل. مع ذكر السبب.

٩- أعدِّد ثلاثة طيور من ذوات المخالب، وثلاثة حيوانات من ذوات الأنياب.

١٠- أكتب العبارة الآتية مرتين بخط النسخ:

أقمنا في خيام نصبناها في الخلاء على مسمع من زئير الأسود، وضجيج الأفيال.

....

....

١١- تحكي هذه القصة العجب للتضحية والفداء والتعاون بين الحيوان أعظم منه عند الإنسان.

أتوسَّعُ في هذا الموضوع، مع الاستعانة بحكاية الضابط.

٥- أمانة*

قال أحدُ التُّجَّار:

قصدْتُ الحجَّ في بعضِ الأعوام، وكانت تجارتي عظيمة، وأموالي كثيرةً، وكان في وَسَطِي هِمْيَانٌ[١] فيه دنانير وجواهر قيِّمةٌ، وكان الهِمْيانُ من ديباجٍ[٢] أسود.

فلما كنتُ ببعضِ الطَّريق نزلتُ لأقضي بعضَ شأني، فانْحَلَّ الهِمْيانُ من وسطي وسقطَ، ولم أعْلَمْ بذلك إلا بعد أن سِرْتُ عن الموضعِ فراسِخَ، ولكنَّ ذلك لم يكن يؤثِّرُ في قلبي، لِما كنتُ أحْتَويه من غِنىً واستخْلفْتُ[٣] ذلك المال عند الله إذ كنتُ في طريقي إليه تعالى.

ولما قضيت حجَّتي وعُدْتُ تتابعَتِ المِحَنُ[٤] عليَّ حتى لم أعُدْ أمْلِكُ شيئًا، فهرَبْتُ على وجهي من بلدي، ولما كان بعد سنين من فقري أفْضَيْتُ[٥] إلى مكان وزوجي معي، وما أملكُ في تلك الليلة إلا دَانِقًا[٦] ونصفَ دَانِق، وكانت الليلةُ ممطرةً، فأويْتُ في بعض القرى إلى خانٍ خراب، فجاء زوجتي المَخَاضُ فتحيَّرْتُ، ثم وَلَدتْ فقالت: يا هذا، السَّاعة تخْرجُ رُوحي، فاتَّخِذْ لي شيئًا أتقوَّ به، فخرجتُ أخبِط في الظُّلْمةِ والمطرِ، حتى جئتُ إلى بدّال[٧] فوقفتُ عليه. فكلّمني بعد جهدٍ، فشرحتُ له حالي، فرحمني وأعْطاني بتلك القِطَع حُلْبَةً وزيتًا وأغْلاهمَا، وأعارني إناءً جعلتُ ذلك فيه، وجئتُ أريدُ المَوْضِع، فلما مشيْت بعيدًا وقربْت من الخان زلَقَتْ رجْلي وانْكَسرِ الإناءُ وذهَبَ جميعُ ما فيه، فَوَرَدَ على قلبي أمرٌ عظيمٌ ما ورَدَ عليَّ مِثلُه قطّ، فأقْبَلْتُ أبكي وأصيح. وإذا برجُلٍ قد أخْرجَ رأسَه من شُبَّاك في داره، وقال: ويْلَكَ! مالَكَ تَبْكِي؟ ما تَدَعُنا أن ننام. فشرَحْتُ له القصةَ، فقال: يا هذا، البكاءُ كُلُّه بسببِ دانقٍ ونصف!

(*) الفرج بعد الشدَّة: ٢/ ١٤.

(١) حزام. (٢) حرير. (٣) سألت الله أن يُعْطيني عوضًا عنه. (٤) المصائب.

(٥) توجهت. (٦) الدانق: سدس الدرهم. (٧) بائع الأطعمة.

قال : فَدَاخلني[1] من الغم أعظم من الغم الأول، فقلت : يا هذا ؛ واللّه ما عندي شيء لما ذهب مني، ولكن بُكائي رحمة لِزوجي ولنفسي، فإن امرأتي تموت الآن جوعًا ، وواللّه لقد حججت في سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئا كثيرا ، فذهب مني همبان فيه دنانير وجواهر تساوي ثلاثة آلاف دينار، فما فكرت فيه ، وأنت تراني الآن أبكي بسبب دانق ونصف ، فاسأل اللّه السلامة ولا تعايرني فتبلى بمثل بلواي.

فقال لي : باللّه يا رجل ، ما كانت صِفَةُ همْيانِك ؟ فأقبلْتُ أبكي ، وقلتُ : ما ينْفَعُني ما خاطَبْتَنِي به؟ أو ما تراهُ من جهدي [2] وقيامي في المطرِ حتى تسْتهْزِئ بي أيضًا ؟ وما ينفعُكَ وينفعُنِي من صفةِ همْياني الذي ضاعَ مني مُنْذُ كذا وكذا ؟

ومَشيْت ، فإذا الرجلُ قد خرجَ وهو يصيحُ بي : خُذْ يا هذا ، فظنَنْتُه يتصدَّقُ عليَّ ، فجئتُ وقلتُ له : أي شيءٍ تُريدُ؟ فقال لي : صفْ هِميانَك وقبض عليّ ، فلم أجِدْ للخلاصِ سبيلًا غير وصْفِهِ له ، فوصَفْتُه ، فقال لي : ادْخُلْ ، فدخَلْت ، فقال : أين امرأتُك ؟ قلتُ : في الخان ، فأنْفَذَ غِلْمانَه فجاؤوا بها وأُدْخِلَتْ إلى حُرَمِه [3] ، فأصْلَحُوا شأنَها وأطْعَمُوها كلَّ ما تحتاجُ إليه ، وجاؤوني بِجُبَّةٍ وقميص وعِمامةٍ وسراويل ، وأدْخِلْتُ الحَمَّام سَحرًا [4] وطُرح ذلك عليّ ، وأصبحتُ في عيشةٍ راضية. وقال: أقِمْ عندي أيامًا ، فأقمتُ عشَرَةَ أيامٍ كان يعطيني في كل يوم عشَرةَ دنانير، وأنا مُتَحَيِّرٌ في عِظَمِ برِّه[5] بعد شِدَّةِ جفائه[6].

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أيِّ شيءٍ تتصرَّف ؟ قلتُ : كنتُ تاجرًا ، قال : فلِي غلَّاتٌ وأنا أعطيكَ رأس مال تتَّجرُ فيه وتُشركُني ، فقلت : أفْعَلُ ، فأخْرَجَ لي مِئَتي دينارٍ فقال : خُذْها واتَّجِرْ فيها ها هنا ، فقلتُ : هذا مَعَاشٌ قد أغْناني به الله يَجِبُ أن ألزَمَه ، فلزِمْتُه .

---

(١) أصابني . (٢) مشقتي . (٣) حرم الرجل : أهله.
(٤) قبيل الصبح . (٥) إحسانه . (٦) قسوته وغلظته.

فلما كان بعد شهورٍ رِبحْتُ فجئْتُهُ وأخذْتُ حقِّي وأعطيتُه حقَّه، فقال : اجْلِسْ ، فجلسْتُ ، فأخْرَجَ لي هِمْياني بعيْنِه وقال : أتَعْرِفُ هذا؟ فحين رأيتُه شهَقْتُ وأُغمِيَ عليَّ، فما أَفَقْتُ إلا بعد ساعةٍ ، ثم قلتُ له : يا هذا ، أمَلَكٌ أنتَ أم نبيّ ؟ فقال : أنا أحْفَظُه منذ كذا وكذا سنة، فلما سمعْتُك تلك الليلة تقولُ ما قُلْتَه ، وطالَبْتُكَ بالعَلامةِ فأعْطَيْتَها ، أرَدْتُ أن أعْطِيَكَ للوقت هِمْيانك ، فَخِفْتُ أن يُغْشَى عليك ، فأعْطَيْتُكَ تلك الدنانيرَ التي أوْهَمتُك أنها هِبَةٌ ، وإنما أعْطَيْتُكها من هِمْيانِك ، فخُذْ هميانَك واجعْلْني في حلٍّ ، فشكرتُه ودَعوْتُ له . وأخذْتُ الهِمْيانَ ورجعْتُ إلى بلدي ، فبِعْتُ الجَوْهَروضَمَمْتُ ثمنه إلى ما معي واتّجَرْت ، فما مضت إلا سُنيّاتٌ حتى صِرْتُ صاحبَ عشرةِ آلافِ دينارٍ وصَلُحَ حالي.

أســـئـلــة

١ - علام يدل قول التاجر عندما ضاع ماله : لم يكن يؤثر في قلبي، واستخلفت ذلك المال عند الله؟

٢ - بكى التاجر بعد انكسار الإناء ، وزاد بكاؤه وغمه . فما سبب ذلك؟

٣ - أشرح قول التاجر : والله ما عندي شيء لما ذهب مني.

٤ - ما السبب الذي دعا الرجل أن يعطي التاجر مِئَتَي دينار ولم يعطه ماله كلّه؟

٥ - لِمَ لَمْ يعط الرجلُ التاجر هميانه حين وصفه؟

٦ - لقي التاجر في حياته ساعات حرجة . أتحدَّث عنها.

٧ - يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ ، ما الذي في القصة يدل على ذلك؟

٨ - في القصَّةِ كثيرٌ من الدروس والقيم الرائعة . أعدِّد ما أجده منها.

٩ - أضع للقصة عنوانًا آخر أراه مناسبًا.

تدريبات

١ - جاء الفعل (قَصَدَ) بمعنى (نوى) في قوله : قصدت الحج. فما معنى (قصد) في : قصدت إلى مكتبة المدرسة؟

٢ - عمَّ كنَّى الكاتب بقوله : فهربت على وجهي؟

٣ - (الحَجَّة) واحدة الحج : فما معنى (الحُجَّة) و (الحِجَّة) ؟ أعود إلى القاموس المحيط وأبيِّن ذلك.

٤ - تأتي (لمّا) ظرفية بمعنى (حين) تحمل معنى الشرط ولا يتلوها إلا الماضي ، كما ورد في أول الفقرة الثانية . آتي بأربع جمل على هذا النسق من إنشائي.

٥ - ما نوع (إذا) في قوله : ومشيت فإذا الرجل قد خرج وهو يصيح بي ؟ آتي بجملتين من إنشائي على هذا النحو.

٦- ما الغرض من الاستفهام في قول التاجر : يا هذا، أملَكٌ أنت أم نبي؟

٧ - تعترض الواو كثيرًا بين همزة الاستفهام وما دخلت عليه على غرار ما جاء في الفقرة الخامسة . آتي بمثالين على هذا النسق.

٨ - أزِنُ الكلمات التالية : انحلَّ ، هِمْيَان ، متحيِّر ، جوهر ، اتَّجر ، آلاف.

٩ - أضع همزة القطع على ما يناسبها من الكلمات التالية : اعلم ، استحلف ، اناء ، الا، امرأة ، اعار، اخذ.

١٠ - أضبط الفقرة الرابعة بالشكل.

١١ - أكتب - بأسلوبي - قصة على نمط ما قرأت ، سواء أكانت حقيقة أم خيالية.

٦- إليك الجواب .. يا بني

كنتَ يا بنيَّ دائمًا تسألني وأنت صغيرٌ : لماذا تجلسُ كثيرًا على الشاطىء في الصباح الباكرِ يا أبي؟ وكنتُ أجيبُك بكلماتٍ تزيدُ حيرتك أكثرَ مما تُبدِّدُها . وكبرتَ يا بنيَّ ، وكبر معك السؤالُ الحائرُ، ولكنه لم يجرِ على لسانِكَ، وإنما يظهرُ في عينيك حينَ ترنو إلى الأفقِ البعيدِ تارةً ، وإلى الأمواجِ القادمةِ من الرياحِ تارةً أخرى، وتعودُ فتسترقُ إليَّ نظرة إشفاقٍ أو رثاءٍ ، ولكنك لا تجدُ الجوابَ.

وأنا أجيبك بعدَ خمسةَ عشرَ عامًا ، سنواتٌ طوالٌ ! أليس كذلك؟ كنتَ فيها معذَّبا ، وكنتُ أكثرَ منك عذابًا ، إنها ليلةٌ يا بنيَّ تغيَّرت معها حياتي كلُّها ، غابت الابتسامةُ العذبةُ، وغرقتِ الأماني العذابُ، وسكتتِ الألحانُ ، واكتأبَ وجه الزمنِ ، وخرجتُ من هذه الليلة شيئًا آخر غيرَ ما ألفه الناسُ مني، وعرفوه عنّي . ليلةٌ واحدةٌ ترَكَتْها هذه السنون وراءَها ، ولكنها ما زالت تطاردني في يقظتي ونومي، في صباحي ومسائي، في نظرات الناسِ وفي أحاديثهم ، وفي سمرِ لياليهم. فكأن لم يكنْ لهم من حديثٍ سوايَ .. هكذا خُيّلَ لي ؟ وأظنني ما خالفتُ الحقيقةَ، ولم أجد مهربًا منهم إلا إلى هذا الشاطىء، لأعيشَ مرةً أخرى أحداث تلك الليلةِ وحدي مع البحرِ ، يعاتبني ، يؤنبني ، يعذبني ولكني أحتملُ عتابَه وتأنيبَه وعذابَه ، فهو الذي عرف الحقيقةَ الكاملةَ ، أما الناسُ فلا يعرفون إلا شيئًا واحدًا ، هو أنني تخلَّيتُ عن صحبي ، وتركتُهم يغرقون جميعًا ونجوت بنفسي.

كُنَّا ثمانيةً ، ثمانيةً فقط، في سفينةٍ صغيرةٍ، ومعنا أبو راشد (النوخذة) وكنتُ أنا واحدًا منهم، كُنَّا نحن البحارة والغوَّاصين، وكان معنا صالح ، وهو صبيٌّ فقد أمَّه يومَ فتحَ عينيه على الحياةِ ، وكان أبوه صديقًا لأبي راشد، فأراد له أن يتدربَ على حياة الغوصِ ، وشاء اللّٰه تعالى أن يصطحبه في هذه الرحلةِ بعد إلحاحٍ منه ورجاءٍ من أبيه، لم يملك الرجلُ الطيبُ معهما أن يردَّه ، وكُنَّا نتهيَّأ للعودةِ بعد أنْ آذنَ موسمُ الغوصِ على الانتهاء ، وفي عصرِ يومٍ يا بنيَّ.. تجاوبتْ مع نسماتِه الصافيةِ ألحانُ العودةِ من

السفنِ القريبةِ، تنقل ا لفرحةَ بين صدورِ العائدين إلى الأرضِ الحبيبةِ ، وحين قاربت الشمسُ أن تغيبَ، رأى الناس عارضًا قادمًا من بعيدٍ ، فظنُوه نذيرَ عاصفةٍ . وتنادى «النواخذةُ» في السفن للاستعدادِ وأخذَ الحذر ، وتهيَّأ الجميعُ لمواجهتها ، ولجأت السفنُ إلى مكانٍ ضحلِ المياهِ تحتمي به ، ولم يكْذِبْ حدْسُهم، وما هي إلا لحظاتٌ حتى انقلب هدوءُ البحرِ ثورةً والنسماتُ الرقيقةُ عاصفةً ، واستحال صفاءُ الحياةِ سوادًا حالكًا ، ابتلعَ بقايا النورِ وتلاحقت الأمواجُ تلطمُ السفينةَ الصغيرةَ ، وتصفعُ الوجوهَ، وتُطيحُ بالشراع ، وصاحَ أبو راشد بالجماعةِ يحثّهم على الصمودِ والثباتِ وبذلِ الجهدِ لمقاومةِ العاصفةِ، فقبضنا على الدلاءِ نغرفُ من بطن السفينة ما اندفع إليها من الماء، والقلوب تخفق بالدعاء أن يسكِّن اللّٰه العاصفة، وينجينا من هذا البلاءِ ، وما أن تهدأ العاصفة، فنأخذ أنفاسنا ، ونمني أنفسنا بالأملِ حتى تعودَ أشدَّ قسوةً وضراوةً.

وقضينا الليلَ في صراعٍ مع الهلاكِ ، وماذا يفعل البشرُ مع أمرٍ لا حولَ لهم فيه ولا قوة؟ وماذا تجدي الدلاء القليلةُ في طغيانِ البحرِ؟ ومع أن اليأسَ كان يزحفُ إلى نفوسِنا ، كان أبو راشد يهوّن الخطبَ ، ويقف عملاقًا تحتَ السارية يتلقفُ الدلاءَ المملوءةَ ويفرغها في البحرِ، وبجواره الصبيُّ يحاكي صنيعه، ويعاونهُ في مهمتِه في صبرٍ واقتدارٍ ، ورأيتك يا بنيَّ وسطَ العاصفةِ ، وأنت لم تتعدَّ بعدُ شهرك السابعَ ، ويداك ممتدتان، وتندفع ناهضًا إليَّ . كأنَّك تريد أن تقتلعَ نفسك من صدرِ أمك، لتقذف بها إليَّ، وابتسامتك العذبةُ تملأ وجودي كلَّه ، فيشتد ساعدي ، وتتصاعدُ الدلاءُ بين ذراعي فيَّاضةً مترعةً ، فتهدأ العاصفة ، ويتجدد الأملُ ، وحين تعودُ إلى سطوتها، وتنتابني أمواجُ الخوفِ ورهبة النهايةِ، وأنا أتذكر أن هذه العاصفةَ لا تنتهي بعد ليلةٍ ، ولكن مداها ثلاثةُ أيام .. هكذا قالوا! وانتهى الليلُ الطويلُ، حين لاحَ نورُ الصبحِ ، وما زالَ النذيرُ قائمًا في الأفقِ ، فرفعت السفينةُ علامات الإقلاع وتهيأ الناسُ لينسلوا بسفنهم من وجهِ العاصفةِ ، فربما رأوا أنَّ عُرْضَ البحرِ أهونُ من هذه الجنادلِ ، أو لعلَّهم تأكَّدوا من استمرارِ العاصفةِ أيامًا أُخَر ، فآثروا الرحيلَ ، ونظرنا إلى أبي راشد كأننا نستحثه على أن يقرر شيئًا، وفهمَ الرجلُ قصدنا . وابتدرنا قائلًا : أصغوا إليَّ جيدًا ، إنني أخشى المخاطرةَ بهذه السفينةِ الصغيرةِ

وسط العاصفةِ ، التي لا تبدو نهايتُها قريبةً ، والبقاءُ هنا آمن من الرحيل ، وبوادرُ العاصفةِ تظهرُ من جديدٍ، وعليكم أن تتركوا السفينةَ وتلتحقوا بهذه السفنِ القريبةِ قبل أن تبحرَ، فهي أكبرُ حجمًا وأشدُّ قدرةً على الصمودِ.

سمعتُ كلماتِه وكأنها لحنُ النجاةِ ، وطلبنا منه أن يسبحَ معنا، فكانت المفاجأةُ الرهيبةُ، إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك ! فإن الصبي أمانة في عنقه، وهو لا يجيد السباحة، والسفن الكبيرة لا يمكن أن تقترب من هذه المنطقة الوعرة، ولا مفرَّ من أن نتركه مع الصبي، وحدهما، لأنه مصممٌ على البقاء، وعبثًا حاولنا إقناعه بأن نحمل الصبيَّ معنا، فالعاصفةُ تهددُ بالشدة، والسفنُ توشكُ أن تتحرك ، فاستثارَ كلامُ (النوخذة) شهامة البحارةِ ومروءتهم، وبعد أن تهيَّأ كلٌّ منهم للنزولِ إلى الماءِ، أعادوا ما في أيديهم، وقرروا الاعتصامَ معه بالسفينة، أما أنا فاشتدت قبضةُ يدي على حبلِ العوامةِ، والتصق متاعي بظهري، ومرَّت أمامي صورتك الحبيبةُ من خلال العاصفةِ ، وقد مددتَ يديك الغضتين إلي، ونهضتَ مندفعًا نحوي ، وابتسامتك البريئةُ تملأ وجودي كلَّه، فلم أفقْ إلا على صوت ارتطامي بالماءِ ، واتجاهي بعنف نحو سفينةٍ رفعتْ مراسيها وتهيّأتْ للإبحار ، وألقى إليَّ بحّارتُها بالحبالِ فصعدتُ على ظهرها. ونظرت إلى أبي راشدٍ وسفينته الصغيرة وحوله البحَّارةُ والصبيُّ ، يصارعون بصبرٍ وثباتٍ ، وحالَ سوادُ العاصفةِ بيننا، وغابتِ السفينة الكبيرة في عمقِ البحرِ.

وفي اليوم الثالث هدأت العاصفةُ فخرجت سفنُ الغوص تبحثُ عنها فلم تجدها في مكانها فتنادى البحَّارة وَجَدُّوا في البحثِ عن السفينة فوجدوا بقايا حطامِها وفيها أبو راشدٍ والصبيُّ وقفلتِ السفنُ راجعةً وتجاوبتْ ألحانُ العودةِ من هنا وهناكَ وارتسمت ابتسامات العائدين حتى دنتِ السفينة من الشاطىء ورأوا الأذرعَ المفتوحة لاستقبالهم.

أما أنا فما أن عرفَ الناسُ قصةَ السفينةِ حتى رأيتُ الجميعَ يغضُّون أبصارهم عنّي ويتهامسون من حولي وكأني أنا الذي حطَّم السفينة وأغرقهم ومنذ ذلك اليومِ أراني مسوقًا إلى هذا المكانِ أود أن أقضيَ معه أيَّامي الباقيةَ.

أسـئـلـة

١ - أقرأ القصة السابقة، ثم أضع علامة (✓) أمام ما أراه صحيحًا من بين الجمل التي أمام كل عبارة :

(أ) هذه القصة هادفة لأنها:

- تمثل واقعًا اجتماعيًّا مؤلمًا ( )
- تحمل أبعادًا إنسانية عميقة. ( )
- تعكس صورة الكفاح في خيال رائع. ( )

(ب) هذه القصة تؤكد تقدير:

- الأب لمراعاة ظروف ابنه. ( )
- الناس لدور الأب في النجاة بنفسه. ( )
- النوخذة لعدم تخليه عن مسؤوليته. ( )

(جـ) هذه القصة تجذب اهتمامنا :

- لما فيها من مفاجآت غير محسوبة. ( )
- لما فيها من نماذج التضحية والبطولة . ( )
- لما فيها من العظات والعبر. ( )

٢ - أجيب عمَّا يأتِي في الفراغ التالي لكل سؤال :

ماذا أفعل:

(أ) لو كنت مكان الأب الذي فضل النجاة من أجل ابنه؟

(جـ) لو كنت مكان النوخذة الذي أؤتمن على الصبي الصغير؟

(ب) لو كنت مكان أحد البحارة الذين فضَّلوا البقاء مع النوخذة؟

(هـ) لو كنت مكان أحد الذين عرفوا حقيقة ما حدث في عرض البحر؟

٣- أيهما أفضل : معرفة الحقائق وإعلانها كاملة في حينها؟ أم تحيِّن الفرصة المناسبة لذلك؟

٤- أي المواقف التالية أكثر تأثيرًا فيك :

- موقف الابن وهو ينظر بإشفاق نحو والده. ( )
- موقف الأب وهو يفضل الحياة على الواجب من أجل ولده. ( )
- موقف البحارة وهم يعلنون تمسكهم بالقيم والمبادئ وقت الشدة. ( )
- موقف النوخذة وهو يصرُّ على تحمل المسؤولية نحو صبي صغير . ( )
- موقف المجتمع الذي يقف بحزم ضد من تسوِّل له نفسه عدم الالتزام بقيمه. ( )
- موقف الإنسان وهو يتَّخذ أصعب قرار ويناضل من أجل الحياة والموت. ( )

أجيب عن السؤال السابق بترتيب المواقف السابقة وذلك بإعطائها أرقامًا تنازلية توضح مدى تأثيرها في نفسي.

٥- أضع علامة (✓) أمام الصحيح ، وعلامة (X) أمام غير الصحيح مما يلي :

- لكل مهنة قوانين يجب الالتزام بها وإن لَمْ تكن مكتوبة. ( )
- ذكريات الكفاح بما فيها من الآلام ستظل أغلى ما يعتز به الإنسان ( )
- الالتزام بأخلاق المهنة مسألة نسبية بين الصغار والكبار. ( )
- الاعتراف بالخطأ يخفف كثيرًا من الآلام النفسية للإنسان. ( )
- الإقرار بالتهاون أو التفريط يعفي الإنسان من مسؤولياته أمام المجتمع. ( )
- الإحساس بالنعمة لا يُنسي الإنسان فضيلة الشكر عليها. ( )
- المصلحة العامة ترتبط بواقع الفرد لا بظروف المجتمع. ( )
- الشدائد والأزمات تظهر معادن الأفراد وتبرز الرجال. ( )

تدريبات

١ - رأوا أن عُرْض البحر أهون من هذه الجنادل - لم يكذب حدسهم - يسترق إليَّ نظرة - رأى الناس عارضًا قادمًا.

وردت هذه العبارات في القصة، أشرح ما كتب بالأزرق فيها.

٢ - قال الأب لابنه : سنواتٌ طوالٌ ! أليس كذلك؟

ما الحرف الذي نجيب به هذا الاستفهام إن أردنا الإثبات، وكذلك إن أردنا النفي؟

٣ - ورد في المعجم مايلي : «آذَنَ بمعنى : أعلم ونادى.. يقال : آذن المؤذن بالصلاة».

أصوِّب قول الكاتب : آذن موسمُ الغوصِ على الانتهاء.

٤ - أضع علامات الترقيم المناسبة فيما ترك من فراغات في الفقرتين الأخيرتين.

٥ - «غرقت الأماني العذاب، واكتأب وجه الزمن».

في الجملتين تصوير واضح، أشرحه ، وأبيِّن فائدته للمعنى.

٦ - نصف السواد بقولنا : سواد حالك، إذا أردنا التأكيد على هذا اللون.

أدوّن أمام كل لون ممايلي ما يناسبه من صفة تؤكده:

بياض .... صفرة .... حمرة ....

٧ - خرجتُ في نزهة بحرية، ومعي بعض الأهل، فماذا أتخذ من خطوات على طريق تأمين سلامتي وسلامة الآخرين؟

٨ - أكتب العبارة التالية مرتين بخط الرقعة:

غابت الابتسامة العذبة، وغرقت الأماني العذاب، واكتأب وجه الزمن.

....

....

٧- شاعرٌ يرثي نفسه

لمالك بن الرَّيب

١ ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بوادي الغضا أزجي القلاصَ النواجيَا
٢ فليت الغضا لم يقطع الرّكبُ عَرْضَهُ ... وليتَ الغضا ماشى الرِّكابَ لياليَا
٣ لقد كان في أهل الغضا لو دنا الغضا ... مزارٌ ولكنَّ الغضا ليس دانيا
٤ تذكّرتُ من يبكي عليّ فلم أجِدْ ... سوى السيفِ والرُّمح الردينيّ باكيا
٥ وأشقَرَ محبوكٍ يجرُّ عِنانَه ... إلى الماء لم يترك له الدَّهْر ساقيا
٦ ولّما تراءتْ عند مَرْوٍ منيّتي ... وخلَّ بها جسمي وحانتْ وفاتيا
٧ أقول لأصحابي ارفعوني فإنني ... يقرُّ بعيني أنْ سهيلٌ بَدَاليا
٨ فيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموت فانزلا ... برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا
٩ أقيما عليَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ... ولا تُعجِلاني قد تبينَ ما بيا
١٠ وقوما إذا ما استُلَّ روحي فهيِّئا ... ليَ السِّدرَ والأكفانَ ثم ابكيا ليَا
١١ وخُطّا بأطرافِ الأسِنَّةِ مضجعي ... ورُدّا على عينيّ فضلَ ردائيا
١٢ ولا تحسداني بارك الله فيكما ... من الأرضِ ذاتِ العرضِ أن توسعا ليا
١٣ خُذاني فجُرّاني بِبُرْدِي إليكُما ... فقد كُنت قبلَ اليوم صَعبًا قياديا
١٤ وقد كنتُ عطّافا إذا الخيلُ أحجمتْ ... سريعًا لدى الهيجا إلى مَنْ دعانيا
١٥ يقولون لا تبعُدْ وهم يدفنوني ... وأينَ مكانُ البُعْدِ إلا مكانيا
١٦ غَداة غدٍ يا لَهْفَ نفسي على غدٍ ... إذا أدلجوا عني وخُلِّفت ثاويا

(١) ليت شعري: ليتني أشعر وأعلم. الغضا: شجر شديد الاشتعال، ووادي الغضا واد بنجد . أزجي : أسوق. القلاص : جمع قلوص وهي الناقة. النواجي : جمع ناجية وهي السريعة. (٢) الركاب: المطايا. (٣) مزار : زيارة ووصل. (٤) الرديني : الرمح القوي نسبة إلى ردينة وهي امرأة كانت تجيد صنع الرماح. (٥) أشقر محبوك: يعني حصانه الأشقر القوي. (٦) تراءت : ظهرت وبدت . مرو : عاصمة خراسان. خل: ضعف. (٧) سهيل : نجم لامع يطلع من الجنوب كان العرب يحبونه ويكثرون من ذكره، ولا يُرى في خراسان التي مات بها. (٨) يا صاحبي رحلي : يا صاحبيَّ في سفر.
(١٠) السدر: كان العرب يستعملونه للغسل بدل الصابون. (١١) فضل ردائيا: الزائد من ثوبي. (١٣) بردي : ثوبي. (١٤) عطافًا : انعطف نحو الأعداء مهاجمًا . أحجمت: تراجعت. (١٦) يا لهف نفسي: كلمة تحسُّر . أدلجوا : ساروا في الليل. ثاويا: ماكثًا.

أسئلة

١ - ما الأمنيات التي يتمناها الشاعر في ثلاثة الأبيات الأولى؟

٢ - من الذين سيبكون الشاعر بعد موته؟ ولماذا خصَّ أولئك فقط؟

٣ - لماذا تقرُّ عين الشاعر إذا رأى سُهيلًا؟

٤ - بم يوصي الشاعر صاحبَيْ رحله إذا خرجت روحه؟

٥ - لماذا طلب الشاعر من صاحبيه أن ينزلا مكانًا مرتفعًا؟ وماذا يقصد بقوله: إني مقيم لياليا؟

٦ - قارن الشاعر بين حالته وهو ميت، وحالته وهو في كامل صحته. فماذا قال؟

٧ - ما الصفات التي افتخر بها الشاعر؟

٨ - ماذا طلب أصحاب الشاعر منه؟ وبمَ رد عليهم؟

٩ - بمَ ختم الشاعر قصيدته في هذه الأبيات؟

١٠ - هذه القصيدة من أعظم المراثي في تراثنا الأدبي. ما أسباب ذلك في رأيك؟

١١ - أضع عنوانًا آخر للقصيدة.

تدريبات

١ - أعود إلى أحد المراجع الأدبية، وأكتب تعريفًا موجزًا بالشاعر وبمناسبة القصيدة.

٢ - ما نوع (ألا) الواردة في البيت الأول؟ أستخدم هذه الأداة على هذا النسق في ثلاث جمل من إنشائي.

٣ - يجوز توكيد المضارع إذا وقع بعد طلب كالاستفهام في قوله : هل أبيتنَّ. آتي بثلاثة أفعال مضارعة وأؤكدها بالنون في جمل من إنشائي على هذا النحو.

٤- في البيتين الثاني والثالث تكرار بليغ . أوضحه ، وأبين فائدته.

٥- في البيت الخامس تشخيص. أحدِّد موضعه وأشرحه.

٦- جاءت كلمة (عِنَان) في البيت السادس بكسر العين، فما معناها؟ وما الفرق بينها وبين كلمة (عَنَان)؟

٧- (لما) في البيت السادس ظرفية تحمل معنى الشرط. فأين جوابها؟

٨- ما معنى الفعل (أنزل) في البيت الثامن؟ وما معناه في الجملتين التاليتين: انزل من المركبة - انزل إلى الناس وتحدَّث معهم؟

٩- في البيت الثاني عشر جناس ، وهو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى. أحدِّد موضعه، وأبيِّن قيمته الفنية.

١٠- ما الغرض من الاستفهام في قول الشاعر : هل أبيتنَّ ليلة؟ وفي قوله: وأين مكان البعد إلا مكانيا؟

١١- أنثر الأبيات الثلاثة الأولى بأسلوب أدبي جميل.

٨- أبـو الكيـميـاء

وَصلَ الإنسان في العصر الحديثِ إلى ما لم يستطع أسلافهُ الوصول إليه، على مرّ العصور، من تسخير قُوى الطبيعةِ، واكتشافِ عجائب الكونِ، واختراع الوسائلِ التي يستخْدِمُها في رفَاهَتِه، وإرْغادِ عيشه.

ومن الإنصاف أن نتعرَّفَ على الرّوّادِ الأوائِلِ، الذين أسهموا في تمكين الإنسان من التغلب على الصِّعابِ ، وتسخير ما خلقَ اللّه في الأرضِ وعليْهَا من قُوى لخدمةِ الإنسانيةِ ، وتوفير وسائلِ الراحة.

وجَابرُ بْنُ حَيّانٍ هو أحدُ أولئكَ الذينَ شاركوا في وضع الأسُسِ التي تقومُ عليها النهضةُ العالميةُ الحاضرةُ.

كانت أُسرةُ جابرٍ تعيشُ في العراقِ، في مدينةِ الكوفة ، وكان حيّانُ - أبو جابرٍ - يصنعُ العقاقيرَ الطبيّةَ، وكان ممن يُؤازِرُون دعوةَ بني العبّاس، وقد أتاحت له هذه المؤازرة فرصةَ التّنَقّلِ من بلدٍ إلى بلدٍ، حتى استقرَّ في طُوس، إحدى بلادِ فارسٍ، التي دخلتْ في نطاقِ الدولةِ الإسلامية.

وفي بلدة طوُس وُلِدَ جابرٌ ، في القرن الثاني من الهجرة، ولم يكن قد جاوز الطفولة، حين وقع أبوه في قبْضَةِ الأمويين، فنشأ في رعايةِ أقاربهِ الذين أحسنوا تربيته، ووفّروا له من أمهر المعلمين من تولَّوْا تثْقيفه، وزوّدوه بعُلُومِ عصرهِ.

وما إن نجَحَت الدعوةُ العباسيةُ ، ولقي أنصارُها عطفَ الخلفاءِ العباسيين وعَوْنَهُمْ، حتى ترَكَ جابرُ ابْن حيّانٍ مدينة طُوس إلى الكوفةِ، موطنِ أسرتِهِ، وموْئِلِ الثقافةِ العربيةِ العريقةِ، التي امتزجتْ بثقافة اليونانِ والهنودِ والفُرْسِ، وكان انتقالُ جابرٍ إلى الكوفة فرصةً طيّبة أتيحتْ له ؛ لينْهَلَ من هذا الموردِ العذْبِ، وليكون قريبًا من بغْدَادَ حاضرةِ الخلافةِ ، وموْطِنِ الخلفاء.

اهتم جابرٌ بالأخذِ عن العلماءِ، وبدراسةِ الكُتُبِ، وبخاصّة المترْجَمِ منها، يدرُسُها عن وعْي وفهمٍ

وإدراكٍ ، وأوْلى الكيمياء مزيدًا من عنايتهِ وجُهدِهِ ، يُشبعُ بها نَهمَهُ [1] إلى العلم، ويُغذِّي ميوله إلى المعرفة، فكان يقرأ كتبها، فاحصًا ومُدقّقًا ومُمَحّصًا.

عُرِفَ أمرُ جابرِ بْن حيانَ ، وذاعَ صيتُهُ، حتى بلغ مسامعَ هارون الرشيد، فاستقدمه إلى بغداد، وأحاطه بالتكريم والرّعايةِ . وظلَّ جابرٌ يعيشُ في بغدادَ ، فاستفاد كثيرًا من ألوانِ الثّقافاتِ الأجنبية، التي نِشطَتْ حركةُ نقْلِهَا إلى العربيةِ نشاطًا كبيرًا في عصر المأمون، فأخذ جابرٌ يَستزيدُ مما يُترجَمُ، ويُضيفُ إلى عِلْمه علمًا ، وإلى حذْقِهِ وبراعتهِ بصرًا وخبرةً وتجربة ، ثم جاء الوقتُ الذي انتقل فيه جابرٌ من طور التحصيل والاستيعاب، إلى طَوْرِ الفحصِ ، والنّقدِ ، والتأليفِ ، والابتكارِ .

ويُعدّ ما وصل إليه جابرُ بْنُ حيانَ في علْم الكيمياءِ ، أعجوبة العلْمِ ، وقد كان موضعَ تقديرِ كافةِ العلماء، حتى لقبوه «أبا الكيمياء».

وإلى جـابر يرجُع الفضلُ في إيضاح كثيرٍ من المعارفِ التي كان يَظُنّها الناسُ سِحْرًا فأصبحتْ على يديه عِلْمًا يدْرُسُونه وصارتْ حقائقَ ثابتةً لها أثر كبيرٌ في نهضةِ الكيمياءِ وفي تطوّرِ الصّناعةِ حتى وقتنا الحاضر واعترافًا بفضل جابر يقولُ الطبيبُ المستشرقُ الفرنسيّ ليكار في كتابه تاريخُ الطبّ العربيّ إن جابرًا من أكبرِ العلماءِ في القرون الوُسْطى وأعظَمِ علماءِ عصرِهِ.

وقد ابتكر جابر الكثيرَ في عِلمِ الكيمياءِ، فهو الذي أدخَلَ ما سماهُ «علمَ الموازين» ، لمعادَلةِ ما في المعادن من طبائعَ، فجَعَل لكلٍّ من الطبائع ميزانًا، ولكلِّ معدنٍ موازينَ خاصّة بطبائِعِهِ . ولم يُستخدم ذلكَ في العلم الحديث ، إلا بعدَ أن اهتدى إليه جابر بزمن طويل.

وجابرٌ هو أولُ من استحضرَ الأحماضَ ، وماءَ الذهبِ ، وأولُ من أدخلَ طريقةَ فصْلِ الذَّهبِ عن الفضةِ الحامض، وأولُ من وضع نظريةً علميّةً عن الاتحادِ الكيميائيّ ، تفسِّرُهُ باتصالِ ذرّات العناصر

(١) شدة رغبته.

بعضِها ببعْض . وقد برزتْ هذه النظرية في شكلها العلميّ بعدَ جابرٍ بألف سنةٍ تقريبًا، على يدِ الكيميائي الإنجليزي (جون دالتُون)[1] .

وجابرٌ هو واضع أصول «التجربةِ العلمية»، فقد كان يدعو إلى تحديد الغرض من التجربة ، واتباع وسائلها الخاصة بها ، والابتعادِ عما هو مستحيلٌ عقلًا ، والدقّةِ في اختيار الوقتِ المناسب، ودعا إلى أن يتحلى القائمُ بالتجربةِ بالصبرِ ، والمثابرةِ، والصمتِ، والتحفّظِ ، وألاّ تغرَّه ظواهرُ الأشياءِ ، فإن ذلك يؤدي - في كثيرٍ من الأحيان - إلى الإخفاقِ في التجربة.

واكتشفَ جابرٌ في الكيمياء ، ما لا يستطيعُ حَصْرَهُ المتبّعُونَ لنشاطِه ؛ اكتشفَ أنَّ مُركّباتِ النّحَاسِ تُكسِبُ اللهيبَ لونًا أزْرَق ، واستنبطَ طُرُقًا علمية لتحضير الفولاذِ ، وتنقيَةِ المعادِن ، وصبْغِ الجلُودِ ، وصبغ الشّعْرِ . وتوَصَّلَ إلى نوعٍ من الوَرَقِ غير قابلٍ للاحتراقِ ، واهتدى إلى أنَّ «الشّبَّ» يُساعِد على تثبيتِ الألوانِ في الصباغَةِ . وغيرُ ذلك كثيرٌ.

وقد نال جابر - بفضل أبحاثه وتجاربه وابتكاراته - الزّعامة العلمية في عصره ، وحصل على مكانة عالمية، اعتز بها الغرب ، كما اعتز بها الشرق ، وقد ظلّت كتبه تدرس في جامعات أوروبا حتى عهد قريب.

أسئلة

١ - أين ولد جابرُ بْنَ حيان؟ وفي أي عصر؟
٢ - أين كانت تعيش أسرة جابرِ بْنِ حيان؟ وماذا كان يصنع والده؟
٣ - متى انتقل جابرُ بْنُ حيان إلى الكوفة؟ أكتب ما أعرفه عن الكوفة.
٤ - عندما ذاع صيت جابرِ بْنِ حيان . ماذا كان موقف هارون الرشيد منه؟
٥ - ما العلم الذي استهوى ابن حيان؟ وكيف تعلمه؟

(١) عالم كيميائي إنجليزي الأصل ، وهو أول من أنشأ نظرية الذرة.

٦ - متى انتقل جابرُ بْنُ حيان من طور التحصيل والاستيعاب إلى طور الفحص والنقد والتأليف والابتكار؟
٧ - لِمَ سُمِّيَ ابْنُ حيان أبا الكيمياء؟
٨ - «إن جابرًا أكبر العلماء في القرون الوسطى، وأعظم علماء عصره». من قال هذه العبارة؟ وما المناسبة؟
٩ - من أول من اكتشف نظرية الذرة ؟ ومتى توفي؟
١٠ - تحدث عن اكتشافات جابرِ بْنِ حيان.
١١ - لجابرِ بْنِ حيان نظرية علمية مشهورة. أذكرها.
١٢ - كان جابرُ بْنُ حيان أول من وضع أصول التجربة العلمية. أوضح ذلك.

تدريبات

١ - أذكر الأفعال الماضية للمصادر الآتية : وصول ، تسخير ، توفير ، اكتشاف ، اختراع ، تحضير ، إنصاف ، تمكين.
٢ - ما مرادف الكلمات الآتية : يؤازرون ، نال ، زعامة ، إخفاق ؟
٣ - أضبط الفقرة الأخيرة بالشكل .
٤ - لماذا نصبت الكلمات التي كتبت بالأزرق فيما يلي :
جابر بن حيان ، هو أول من استحضر الأحماض ، وماء الذهب ، وأول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحامض ، وأول من وضع نظرية علمية عن الاتحاد الكيميائي.
٥ - لماذا كانت همزة هذه الكلمات همزة وصل : استنبط ، اكتشاف ، الذي ، استحضر؟
٦ - أضع علامات الترقيم المناسبة فيما ترك من فراغات في الفقرة العاشرة.
٧- أوضح المبني والمعرب من الألفاظ الآتية : يضيفُ ، ذَاع ، مِنْ ، جابر ، حتى .
٨ - ما نوع الجمع فيما يأتي : الوسائل ، العباسيون ، العلماء ، الثقافات؟
٩ - لماذا كتبت الهمزة على هذه الصورة في المفردات الآتية : عجائب ، نشأ ، الخلفاء ، موئل ، حقائق؟

٩- مِنْ أمثالِ العَربِ

للعرب أقوالٌ بليغةٌ، امتازت ألفاظُها بالإيجازِ ، ومعانيها بالشمولِ ، تلك هي الأمثالُ، التي خلَّفوها لنا فيما خلَّفوا من أدبٍ وحكمةٍ.

ومن هذه الأمثال العربيةِ قولُهم : «وافَقَ شَنٌّ طبقة» وهو يُضْرَب فيمن يَجمعُ بينهما توافقٌ وتشابهٌ.

ولهذا المثلِ قصةٌ، ذلك أن رجلًا من حكماء العربِ وعقلائهم يقال له شَنٌّ عُرِفَ بين الناس برجاحةِ العقلِ ، وصوابِ الحكمِ ؛ فكانوا يستشيرونه في أمورهم ، ويعملون بما يُسديه إليهم من النصحِ والرأي.

وحَدَثَ أن أرادَ شَنٌّ أن تكونَ له شريكةُ حياةٍ ، لها من رجاحةِ العقلِ مالَه ، ومن حسنِ التفكير ما يتصفُ هو به ، فأخذ يبحث عن طَلبته في موطنِه ، فلم يَهتدِ إلى ما يُريدُ ، فعزمَ على أن يُطوِّف في الأرض حتى يعثرَ على ضالّتِهِ.

وفي إحدى سفراته ، قابله رجل في الطريق ، فسأله شَنٌّ عن وجهته ، فذكرَ له البلدة التي يسعى إليها، فقال شَنٌّ : إني لقاصدُها ، ثم اتفقا على الصحبةِ وسارا معًا إلى وجهتهما.

ونظر شَنٌّ إلى صاحبه وقال له : أتحملني أم أحْمِلك؟ فقال له الرجلُ : يا لك من جاهلٍ! كل منّا راكبُ دابّته، فكيف يحمل أحدنا الآخر؟ فسكت عنه شَنٌّ . ولم يمض غيرُ قليلٍ حتى لاح لهما زرعٌ حان حَصَادُه ، فقال شَنٌّ لصاحبه : لستُ أدري أَؤُكِلَ هذا الزرعُ أم لم يُؤكلْ !

فقال له الرجل : عجبًا لك! تَرى زرعًا يوشكُ أن يُحصَد فتسألُ : أَؤُكِلَ أم لم يؤكلْ؟ فلزم شَنٌّ الصمتَ ومضى الرجلان.

ولما دخلا البلدة شاهدا جنازةً فقال شَنٌّ لرفيقه: أَحَيٌّ صاحبُ هذا النعش أم ميتٌ؟ فقال الرجل:

لقد ضِقتُ بك ذرعًا ، ترى جنازةً فتسأل أحيٌّ صاحبها أم ميتٌ؟ فسكتَ عنه شَنٌّ ، وعزمَ على أن يفارقه، غير أنّ الرجل أبى أن يتركه حتى يستضيفه في بيته ، فمضى شَنٌّ معه. وكان للرجلِ ابنةٌ تدعى طبقةَ فسألتْ أباها عن ضيفِه ، فحكى لها ما كانَ من أمرِه.

فقالت الفتاةُ لأبيها : ما هذا الرجلُ بجاهل يا أبي. إن قوله : أتحملني أم أحملُك ؟ يعني : أتحدثني أم أحدثك ؟ وقوله : أؤكِلَ هذا الزرعُ أم لم يُؤكلْ؟ يريد به : أباعه أصحابه فأكلوا ثمنه أم لم يبيعوه؟ وقوله: أحيٌّ صاحبُ هذا النعشِ أم ميتٌ ؟ قصد به : هل ترك هذا الميتُ ولدًا يُحيي ذكره أم لم يترُك؟

ثم إنَّ الرجلَ خرجَ ليجلس مع ضيفه، فتحدثا زمنًا ، وكان مما قاله الرجلُ لِشَنٍّ : أتودُّ أن أفسرَ لك ما سألتني عنه في الطريقِ ؟ قال : حبَّذَا إن فعلتَ . فأخذ الرجلُ يفسرُ ويجيبُ . فقال له شَنٌّ : ما أحسبُ أن هذا كلامُك ، فهلا أخبرتني عن صاحبِه؟ فقال له الرجلُ : إنها ابنتي طبقةُ ؛ فأُعْجِبَ شَنٌّ بذكائها وَوَجَد فيها ضالته، فخطبهَا إلى أبيها ، فزوَّجه إياها.

وعاد شَنٌّ إلى أهله، فلما رأوا ما هي عليه من ذكاءوفطنةٍ ، قالوا : «وافق شَنٌّ طبقة»، فذهب قولهم مثلًا.

أسئلة

١ - « وافق شَنٌّ طبقة» فيم يضرب هذا المثل؟

٢ - بم عُرف «شَنٌّ» بين قومه؟

٣ - لم خرج «شَنٌّ» يطوف البلد؟

٤ - كيف عثر «شَنٌّ» على ضالته؟

٥ - ما الدليل على ذكاء «طبقة» وفطنتها؟

٦ - ما فائدة الصحبة في السفر؟

تدريبات

١ - أوضح معنى (عثر) في الأمثلة التالية :

- عثر بالفارس فرسه.
- عثر شَنٌّ على ضالته.
- عثر بالمهمل سعيه.

٢ - (أتحملني أم أحملك) :

أوضح الصورة البيانية في هذه العبارة، وأبيِّن أثرها في المعنى.

٣ - أستخدم معجمي في الكشف عن معاني الكلمات الآتية: رجاحة - ضالّة - يسدي.

٤ - لماذا جاءت الكلمات المكتوبة بالأزرق مجرورة فيما يلي:

عُرِفَ شنٌّ برجاحةِ العقلِ وصوابِ الحكمِ.

٥ - «يحيي ذكره».

«ذِكْرَهُ» يقصد به:

- الصلاة لله والدعاءُ.
- الصِّيتُ والثناءُ.
- ضدُّ (النسيان).

٦ - ما الفرق في المعنى بين الفعلين (شابه ، تشابه) وكذا الفعلان (وافق، توافق)؟

٧ - يقول الشاعر:

والصمت عن جاهل أو أحمق شرف وفيه أيضاً لصون العرض إصلاح

وقد التزم «شنٌّ» بهذا المسلك مع صاحبه في السفر في أكثر من موقف . أذكر تلك المواقف.

٨ - أكتب العبارةَ التالية مرتين بخط النسخ :

للْعربِ أقوالٌ بليغةٌ ، امتازت ألفاظها بالإيجازِ ، ومعانيها بالشمولِ.

....

....

٩ - (حبذا) أسلوب يراد به المدح ، آتي بأسلوب آخر للمدح، ثم أضع الأسلوبين في جمل من عندي.

١٠ - (هلا) حرف يدل على التحضيض والحث ، أستخدمه في جملة من إنشائي.

١١ - أعود إلى كتاب «مَجْمَع الأمثال» للميداني ، وأسجل أربعة منها مع قصصها ، والمناسبة التي يمكن أن تقال فيها.

١٠- لمـــن تصْـــفو الحـيـــاة ؟

لمن تصفو الحياة ؟

كثيرونَ يسائِلونَ أنفسهم هذا السؤالَ ، وكثيرون يعجزون عن الإجابة عنه ؛ لأنَّها تختلفُ باختلافِ تحديدهم لمفهوم السعادة والراحةِ ، الأمر الذي أصبحَ الاتفاق على تحديده رابع المستحيلات ، إن كانت لا تزال ثلاثةً.

قال قومٌ : إنَّ السعادة الصحةُ ، وقال آخرون: إنَّها الإيمانُ ، وقال غيرُهم : إنها في الطُّمأنِينَةِ . وهناك من يراها في الغنى . وأصحابُ هذا الفهْم نَراهُمْ يُذهِبُونَ لحظاتِ السَّعادةِ الحقَّةِ في دنْياهُم ، بحثًا وراءَ ما يُسمُّونه – وهْمًا – «بالسَّعادَةِ».

خلافٌ كبيرٌ ، قد تمضي أعمارٌ وأجيالٌ ، والناسُ لم يلتقوا على تحْدِيدٍ لمفهومه ، وقديمًا قال أحدُ الشُّعراءِ فيما نَعْتَبرُهُ محاولة فرديَّة ، للإجابةِ عن هذا التساؤلِ :

تـصْـفُـو الحـيــاةُ لجـاهـلٍ أو غــافـــــلٍ ... عـمَّـا مَـضـى منـهـا ، ومـا يُـتـوَقَّـعُ
ولِمــنْ يُغـالــطُ فـي الحـقــائــقِ نـفـســه ... ويَـسُـومُـهـا طـلـبَ المُحــالِ ، فتطمعُ

ولكن هلْ صحيحٌ أن صفاءَ الحياةِ مقصور على الجهَلَةِ، والغافلينَ ، والمخادِعين؟ أنا أشكُّ كثيرًا في هذا القولِ، وأحْسبُ أنَّ قائله كان واقعًا تحت تأثيرِ ما نُسمِّيه بخيْبَةِ الأملِ.

وإذا كنَّا لم نصلْ بعدُ إلى تحديدٍ لمفهوم السعادةِ . فلْنتساءَلْ عن التأثير الواقع لفقْدانِها ، وكيفَ يُعبِّرُ الناسُ عن شعورهم بها ، ولهْفتِهم عليها؟

قال أحدُ الشُّعَراءِ قديمًا : إن الشَّكْوَى هي التَّعْبيرُ الصَّادِقُ عن عَدَمِ الرِّضَا بالواقِع ، والقناعةِ به. ودفعه رأيهُ إلى ما لا ينتهي من الغرَابَةِ والدَّهْشةِ ، لكثْرَةِ ما شاهد من شَكوى الناس ، وتذمُّرهم من

واقِعِهم ، حتى لقد حمله ما رآه إلى تساؤلِه الذي لا يخْلُو من طرافةٍ:

كُــلُّ مــن لاقَــيــتُ يــشْــكُــو دَهْـــــــرَهُ ... لــيــتَ شِــعْــري : هَــــذِهِ الــدُّنْــيَــا لمــنْ؟

وهذا - في رأيي - هُوَ الآخر ، أحدُ ضحايا التَّشاؤُم ، وخيبةِ الأملِ ، وإلَّا فقد قرأنا من أقوالِ الجانبِ الآخر - الأكثر تفاؤلًا - ما يُمكن أن نعتبرهَ أقربَ إلى الحقيقة من سابقه ، إذ قالُوا : من لوازِم الحياةِ ، التي لا تنتهِي مطالبُها عند حدٍّ ، بالقدرِ الذي تتمكنُ به من التعبيرِ عن آمالِكِ ومطامحك يكونُ نصيبُك من اهتمام النّاسِ وتقديرهم. وأمْعنُوا في تفاؤلهم ، فقالوا : إن صُراخَ الوَليدِ ، ساعة وُجُودِهِ، وبعْدَها إنَّما هو إثباتٌ لوجودِهِ ، وجزءٌ من مُطالبتهِ بحقِّه منها. وهذا التعبيرُ فيه من الوَاقعيَّةِ ، بقدْرِ ما فيه من الطَّرافةِ.

وكتابُ اللّه وسنَّةُ نبينّا ، عليه أفضَلُ الصلاةِ والسلام ، يحْكِيَان لنا كِلاَ النَّهْجيْنِ في قوله تعالى : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ وقوله : ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾

وقول نبيِّنا عليهِ السلام : «لو أُعْطِيَ ابنُ آدَمَ وَادِيَيْنِ من ذَهَبٍ ، لابْتَغى لهما ثالثًا ، ولا يَملأُ فَمَ ابنِ آدم إلاَّ التُّرابُ».

فالمتاعبُ واقعةٌ ؛ لأنَّها توجَدُ مع الإنسانِ ، تُهادِنُهُ حِينًا . لكِنَّها لا تفارقُهُ . ولرُبما اعْتَبَرها بعضُ المكافِحينَ إحدى وسائِلِ اللَّذَّةِ ؛ فالمكافِحُ قدْ يتطرَّقُ السأمُ إلى قلبهِ ونفسه ، لو طال به الأمَدُ، فلم يلْتَقِ بما يُضاعِفُ عزيمته ، ويقوِّي إقدامَه ، من العقبات والمتاعبِ؛ لأنها لمواهِبه الدِّفاعيَّةِ كالشَّحْذِ للمطْوَاةِ[1]، يُقوِّي من مضائِها وفتْكِهَا ، وكُلَّما اجْتَازَ عقبةً ، زادهُ تقلُّبُهُ قُوَّةً على كفاحه المرتَقَب، حتى يُصْبحَ الجهادُ والكفاحُ من مُقوِّماتِهِ ومتطلَّباتِهِ ، لينتهي به المطافُ إلى درجةِ الإقدامِ والتَّضحيَة - تمَامًا - كما يقول الشاعر :

إذا اعْــتَــادَ الــفــتــى خَــوضَ المــنَــايَــا ... فــأيْــسَــرُ مــا يَمُــرُّ بــه الــوُحُــول

(١) سكين صغيرة ذات نصل تطوى في النصاب.

لكني أرى أنّ السَّعادَةَ الحقَّةَ ، في الإيمان المُطْلَق بالله، والتسليم بعظيم قُدْرَتِهِ ، وشُمُولِ إحاطَتِهِ وعِلْمِهِ، وأنَّ ما شاء كان ، وما لَمْ يَشَأْ لم يَكُنْ ، وأنَّ الأمَّة لوْ اجْتمعتْ على نفَعٍ ، أو ضُرٍّ ، لم تقْدِرْ على بذل الأوَّل ، أو دَفْعِ الثَّاني ؛ إلَّا بأمْرِ الله وتقدِيرِهِ .

أسئلة

١ - ما مفهوم السعادة والراحة في نظرك؟

٢ - يقول البعض إن السعادة يحظى بها الجهلة والمغافلون والمخادعون فهل هذا صحيح؟

٣ - لِمَ يعجز الكثيرون عن الإجابة عن هذا السؤال : لمن تصفو الحياة؟

٤ - ما مصادر السعادة عند بعض النّاس ، أوضح أفضلها مع التعليل.

٥ - أناقش قول الشاعر : «تصفو الحياة لجاهل أو غافل» مع بيان رأيي.

٦ - ما السعادة كما رآها كاتب هذا المقال؟

٧ - أناقش هذا القول : «القناعة كنز لا يفنى».

٨ - يقولون : «إن المصاعب تشحذ الذهن ، وتقضي على الروتين والملل» أوضِّح رأيي في هذا القول.

تدريبات

١- آتي بما يضاد الكلمات الآتية : سعادة ، إيمان ، تشاؤم ، نفع ، جاهل .

٢- أضبط العبارة الآتية بالشكل :

اختلف الناس على تحديد مفهوم السعادة والراحة ، الأمر الذي أصبح الاتفاق على تحديده رابع المستحيلات.

٣- هذه الدنيا لمن ؟ ما الغرض البلاغي من الاستفهام؟

٤- أكتب العبارة التالية مرتين بخط النسخ.

إنَّ السعادةَ الحقة في الإيمان المطلقِ بالله ، والتسليم بعظيم قُدرته.

....

....

٥- ما معنى المفردات الآتية : تهادن ، الأمد ، الوُحُول ، التَّذمُّر ؟

٦- أين اسم (إن) وخبرها في هذه العبارة : «إن صفاء الحياة مقصور على الجهلة.....»؟

٧- كيف أعرب الجملة بعد (إذا) في قول الشاعر :

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا ... فأيسر ما يمر به الوحول

٨- قال الشاعر :

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكن التقيَّ هو السعيد

أكتب في معنى هذا البيت ، وأستنير بما ورد في المقال السابق من أفكار.

١١- كيف نستعيدُ فِلسطين ؟

ماذا عَسىَ أن أقولَ عن فِلسْطين؟ وهل أثْبَتَتِ التجاربُ جدوىَ الأقوال في استعادة الحقوق المسلوبة، والكراماتِ المهدورةِ؟ وهل حكَى لنا التاريخ - منذ أن بدأ الناسُ يعنوْنَ بتدوينِه ودراسته - عن حُرّيّةٍ وهبها الغاصبُ للمغصُوبِ ، أو حقٍّ أسْلمَهُ مُعتدٍ ظالمٌ إلى أهله وذَويِه ؟ إن شيئًا من ذلك لم يحْدُثْ ، والحرياتُ والكراماتُ إنّما تُنتزَعُ انتزاعًا، وحتى تحْصُلَ الأممُ على حقوقِها المسْلوبةِ ، قد تتهاوَى الجُمُوعُ، وتسيلُ البطاحُ بدِماءِ الشُّهداءِ ، وقد بذلوا أرْواحهُم ودماءَهُمْ رخيصةً في سبيل حماية معتقداتهم وأوطانهم. هذه حقيقةٌ ثابتةٌ ، لا تتغيّرُ دائمًا ، ولِئنْ كنَّا لا نزال نسمع كل يوم بأنباء اعتداء، أو حوادث اغتصاب فإنما يعْني كلُّ ذلك مدى إدْراكِ الشعُوب المغلوبةِ على أمرها لهذه الحقيقة أو قُدْرَتها على إنقاذها . ولأمْرٍ ما استهلَّ الشاعرُ العَربيُّ أبو تمامٍ قصيدَتَهُ لممدوحه المعتصم بقوله :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ　　في حَدّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللَّعِبِ

وهذا حق! فالسيف دائما صادق القول ، قصيرُ اللَّهجة ، وفلسطيننا العزيزة ذهبت ضحية أطماع وأحقاد.

إنها إحدى صور المآسي ، التي لا زال وطننا العربي يعاني من ويلاتِها استعمارا ظالما يجثم على الكواهل ليجتني خير الوطن ويستذل أبناءه ، أو ذيولًا لذلك الاستعمار، تحمل فكره وترسم خطاه.

وما حدَثَ في فلسطين العزيزة، ليس سوى النهاية الطبيعية التي قدَّرَهَا المسْتعمِرُون، وعملوا من أجْلها . وقامَ العرَبُ - وقد صدمتْهمُ الحقيقة المُرّةُ - لاسترداد وطنهم السّليبِ ، وتربَّصَ بهم الاستعمارُ، ليحولَ دون ذلك ، فقاومَ اندفاعَهم بارزًا ومستَتِرًا ، قاوَمَهُ بإيجاد الفرقة بين قادةِ العرب ، واستمالةِ

بعضهم ، ثم بالأسلحةِ الفاسدةِ التي مزّقتْ أيْدي رُماتِها قبل أن تنطلِق . ثمَّ جاءت ساعةُ الصِّفْرِ[1] ، وكانت طائراتُ العربِ - إذْ ذاكَ - تُلقي قذائفَها في قلبِ عاصمةِ اليهودِ، جاءت لتُعْلِنَ فيها الهدنة الظالمة التي قبِلها العربُ ، ليضَعُوا نهايةً غيرَ مُشرّفةٍ لجهادٍ كان من المحتَمَلِ أنْ يأتيهُمْ بأطيبِ الثمارِ، وقامت دولةُ العصابات ، وبسَطَ المستعْمِرونَ عليها حمايتهم، وانهالوا عليها ، يمدّونها بعوَامِلِ البقاء ، ولن أستطيعَ - بحال - أن أتجاهلَ عناصرَ الشرّ والمكْر وهي تُقوّي تلك الدولة الدخيلة بالسلاحِ وبالمالِ ؛ لتفتِك وتُدمّر، وتبْسُطَ نفُوذَهَا في هذا الجزء الغالي من جسم الأمة.

وقضيةُ فلسطين لم تَعُدْ بحاجة إلى هُتافات وأقوالٍ ، وليست في اعتقادي ورقةً رابحةً يتداولها الزعماءُ لكسب شعوبهم ، إنها أكبرُ من ذلك وأعظمُ ، إنها بدايةُ النذير لكلّ بلاد العروبة ، ولم يَعُدْ سرًّا ما يطمح إليه قادةُ اليهود من بسط نفوذِهم في كلّ بلاد العربِ. وهذا ما كتبهُ الزعيمُ اليهودي (بن هيخت) في جريدة (نيويورك تايمس) في شهر إبريل ١٩٤٨م :يقول ما معناه : إنه لا سبيلَ إلى التفاهم مع العَرَبِ إلّا بإعداد حملةٍ يهوديةٍ تحتل المدينة وتفعل كذا وكذا، وحينئذ يبادر إلينا العرب أذلّاءَ خشَّعًا يرْجونَ التفاهم معَنَا.

هذه مشاعرهم ، وتلك أهدافهم ، ومن الخير أن تِصلَ إلى كلّ قلبٍ ، وأن تطْرُقَ كلَّ أذنٍ ، حتى يعلم أبناءُ الإسلامِ حقيقةَ هذا الخطرِ الدَّاهِمِ الذي يتربّصُ بهم ، ويترقَّبُهُمْ.

وهُنَا قد يقول قائلٌ : قد وصفْتَ ، ولكنّك لم تُعالجْ ، وأحرى بالوَصْفِ أن يعْقُبَهُ علاجٌ، يقضي على الداءِ ، ويشْحَذُ الهِمَمَ للمُدافَعَةِ والمقاوَمة!

وهي مشكلة عويصةٌ عاشتْ في عقول العرَبِ وأعصابهم وشَغَلتْ أذهانَ العُقَلاءِ والسَّاسة لكنّها لا تزالُ كالجُرْحِ الغائرِ يَنْزِفُ الدَّمَ وَيَبْعثُ الألم وأنا إذْ أُسْهِمُ بما أعْتَقِدُ جَدْوَاه لا أدَّعي ما ليسَ لي لكنّي وأنا أتمثَّلُهُ خطَرًا داهمًا وَعدوانًا جاثمًا لا يقْتَصِرُ على

(١) ساعة الصفر : الوقت السرّي المحدد لبدء عمل حربي.

أمّةٍ عربيةٍ دُون أُخرى أرَى كلَّ مسْلِمٍ في بلادِ العُروبةِ مسؤولًا عنْ دوْرِهِ وَقسْطِهِ من هذا الواجب العامِ الشاملِ ثمّ ألَسْنَا بما نحنُ عليه اليوم قدْ بعُدْنا كثيرًا عن تعاليم ديننا الحنيفِ وأعرَضْنَا عنْ يَنَابِيعِهِ الطّاهِرَةِ الكريمة

وإلّا ، فَلأيّ شَيء تُشيرُ هذه الوقائِعُ التي صرَفَتْ جموعًا غفيرةً من أبناءِ العُروبةِ إلى الوَهْم الكبير وهو طَلَبُ العَوْنِ من العاجِزِ عنه لمستحيل عليه والانصرافُ عنْ واهِبِ العوْنِ ومجزلِ العَطاء

إنَّ هذه المنكَرَاتِ الظّاهِرَةَ في كثير من بلاد الإسلامِ ، التي حاربها وأعلن بُطْلانَهَا وفَسَادَها، كُلُّها نتائجُ لمقدمَاتٍ ، قد يكونُ منها ضَعْفُ الدّعاءِ إلى الله، وفقدانُ إخلاصهم لهذا الدّين ، وعَدَمُ أخذِهم أنفسهم بهديه وتعاليمِه ، مما أدّى إلى انعدامِ تأثيرهم.

ولِئنْ كنّا نُفكّرُ في استعادَةِ الوَطَنِ السّليب ، فلنفكّرْ - قبل ذلكَ - في تقويةِ الصّلةِ بالله تبارك وتعالى، تلك الصلةُ الكريمةُ التي ترتفعُ بالمسلمِ عن مهاوي الضلال ، ومتاهاتِ الزَّيْغ والانحرافِ ، وتُنمّي فيه شُعورَه بكرامتِهِ ، وَحَقّه الطبيعيّ في حياةٍ عزيزةٍ كريمةٍ . وبعدها، فليكنْ واضحًا ، أنَّ جولَةَ الإسلام مَعَ أعدائِه لا بُدَّ واقعةٌ ، ومن الحُمْقِ أن ننتَظِرَ من أعدائنا تفهّمًا لواقعِنَا ، أو دفاعًا عن قضايانا، والدلائلُ القائمةُ تحكي لنا انعكاسَ هذِهِ المفاهيم والقيم . وليعْلَمْ كلّ مسلمٍ أنه مطالبٌ بحماية دين الله . وهَلْ تقرَّبَ المسلمُ إلى ربّه - بعدَ توحيدِهِ لهُ - بأعظَمَ من الجهادِ في سبيلِهِ ، لتكون كلمةُ الله هي العُلْيَا؟!

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة : ١١١.

فلن يستعيدَ المسلمونَ فلسطينَ ولا غيرَهَا إلا بالجهادِ المقدس ، تزْحَفُ جُمُوعٌ مؤمنةٌ ، تقاتل لتكونَ كلمة الله هي العُلْيَا . ولا أحْسَبُ فِينَا ، من سيُحْجِمُ عنْ إجابةِ مثْلِ هذا النّداءِ المؤمنِ، وصدق الله العظيم حيثُ يقول :

﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ
وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ
فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١٢) ﴾ المائدة.

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ الروم.

أسئلة

١ - ماذا يقول التاريخ عن رد الحقوق والحريات إلى أصحابها؟

٢ - ماذا تفعل الأمم لتحصل على حقوقها المسلوبة؟

٣ - لدول الغرب دور كبير في نشأة دولة اليهود، أوضح ذلك.

٤ - كيف قاوم المستعمرون نضال العرب لاسترداد فلسطين؟

٥ - أورد الكاتب أقوال زعيم يهودي في إحدى الصحف الأمريكية، ما اسم هذا اليهودي ؟ وماذا قال؟ وعلام يدلّ قوله؟

٦ - ما الحل الذي يراه الكاتب لمشكلة الخطر الإسرائيلي؟

٧ - الجهاد المقدس سبيل المسلمين إلى استعادة فلسطين ، أوضح ذلك.

٨ - أطماع اليهود لا تقف عند حدود السيطرة العسكرية، بل تتجاوز إلى أنواع أخرى من السيطرة كالاقتصاد والإعلام والأخلاق.
أتحدَّث في هذه الفكرة مع التحذير من تلك الأطماع من وحي الموضوع.

تدريبات

١ - هل أثبتت التجارب جدوى الأقوال في استعادة الحقوق؟
- ما نوع الأسلوب فيما سبق ؟ وما غرض الكاتب منه؟

٢ - جاءت الأسماء المكتوبة بالأزرق فيما يلي منصوبة، أذكر سبب ذلك:

أ- تنتزع الكرامات انتزاعًا.

ب - بذل المجاهدون دماءهم رخيصة.

جـ السيف دائمًا صادق القول.

٣ - أضبط الفقرتين الثانية والثالثة بالشكل.

٤ - «مشكلة فلسطين كالجرح الغائر».

في العبارة السابقة تشبيه ، أوضّحه ، وأبيّن أثره على المعنى.

٥ - أبحث في معجمي عن معنى الكلمات التي كتبت بالأزرق فيما يلي:

استهل الشاعر - يجثم على الكواهل - تشحذ الهمم.

٦ - أختار الضبط المناسب من الكلمات التي أمام كل جملة فيما يلي:

أ- قامت دولة العصابات (العِصَابات - العُصَابات).

ب - لا أحسب فينا من سيحجم (أحْسِب - أحْسَب).

جـ -هل استفدنا من التجارب (التجارُب - التجارِب).

٧ - أضع علامات الترقيم المناسبة فيما ترك من فراغات في الفقرة السادسة.

٨ - أجعل كل قول مما يأتي صلة لكلام أنشئه مع الاستفادة مما في هاتين العبارتين من جمال تصوير:

- تصلُ إلى كل قلبٍ ، وتطرق كلَّ أذن.

- أعرضنا عن ينابيعه الطاهرة.

٩ - أكتب بحثًا قصيرًا عن الصهيونية وخطرها على الإسلام.

١٢- الجمَل في تراث شِبه الجزيرة العَربيّة

إنَّ علاقَةَ العربيِّ بالجَملِ علاقةٌ قديمةٌ عريقةٌ واضحةٌ ، لا تحتاج إلى إثباتٍ أو تأكيدٍ ، فمنذ استأْنَسَ العربيُّ هذا المخلوقَ ، أو أشركَهُ معه في حياته على ظَهْرِ الصحراءِ ، تآلَفَ معهُ وتعايشَ، وكأنَّما هنالك نقاطُ التقاءٍ بينه وبين هذا المخلوقِ ، تجعلُ كلًّا منهما يُشَارِكُ الآخر في تقاسُمِ ما تأتي به الحياةُ على ظهْرِ الجزيرة من خير أو شرٍّ.

والحقُّ أن لهذا الحيوانِ ميزاتٍ كثيرةً ، جعلت العربيَّ يهتمُّ به ويرْعَاه، ويستخدمُهُ لتذْليلِ ما يُلاقِيه من مصاعبِ الحياةِ ، فالتكوين العُضْويُّ لهذا الحيوانِ يجعلُ منه مخْلُوقًا قادرًا على تحمل كثير من مشاقِّ الصحراءِ ، أخْفَافُه المبسوطةُ تُساعِدُهُ على السير فوق طبيعة هذه البلاد الرَّمْليَّةِ تارةً، والصخْريَّةِ تارةً أخرى، وقدرتُهُ على تحملِ العَطَشِ تجْعَلُ منه رفيقًا جيِّدًا ، في مفازاتِ بلادِ العربِ التي يقِلُّ فيها الماءُ ، بلْ ينْدُرُ في كثيرٍ من الأحيانِ ، وضخامَةُ جِسْمِهِ تؤهلُه لحمْلِ كمياتٍ كبيرةٍ من الزادِ والعُدَّةِ والعتادِ ، وارتفاعه الشّامخُ وقوائِمُهُ الطويلة تُسهِّلُ له السيرَ بسرْعةٍ ، وهو - مع ذلك - شديدٌ على الحمْلِ ، صبُورٌ على شَظَفِ العيْشِ ، يَخْتَزِنُ طعَامَهُ وشرابَهُ مدَّة طويلَةً ، حتى يَصلَ إلى طَعَامٍ أو شرابٍ.

وبهذا كان رفيقًا مثاليًّا للإنسان العربيِّ ، الذي يُشارِكُهُ صفاتِ الصبْرِ والتَّحمُّلِ والقوَّةِ والجلَدِ ، في بيئةٍ صعبةِ الظُّروفِ قاسيةِ الأحوالِ ، تعتمدُ على نُزُول القطْرِ من السَّماءِ ، فإذا نَزَلَ أعْشَبَتِ البلادُ وطابتِ الحياةُ ، وإذا أمْسَكَتِ السماءُ مَاءَها ، ساءَت الأحوالُ واقشَعَرَّتِ الأوطَانُ.

وهكذا كان هذا الإنسان يقضي حياته بين حلٍّ وارْتِحَالٍ ، مُتَتَبِّعًا مواسِمَ الغَيْثِ ، ومَنَابِتَ الكَلأ. وفي هذه الحياةِ المُتحَرِّرةِ كان الجَمَلُ عَوْنًا كبيرًا للإنسان العَرَبيّ ، وكانَ مُتحمِّلًا - كسيِّدِهِ - ظُروفَ البيئَةِ ، مذلِّلًا - إلى حدٍّ كبير - قسْوَةَ الحياةِ ، وتلك هي نقطُ الالتِقاء التي افترضْنَاهَا بينَ هذا الحيوان والإنسانِ.

ولذلك فقد اسْتحْوذَ الجَملُ على تفكير العربيِّ وشَغَل بالَهُ ، وشاركهُ مُشاركةً فعَّالةً في ظروفِ حياتِه المختلفةِ ، وأصبَحَ وجودُه عنده يعنِي الشَّيءَ الكثيرَ، وفقْدانُه يؤثِّر عليه بشكلٍ كبير.

كان الجملُ للعربيِّ القديم وسيلةً جيِّدَةً من وسائلِ المواصلاتِ ، وثروةً كبيرةً للأثرياء، وعُمْلَةً صعْبَةً بين التُّجارِ ، وسِلاحًا مُساعدًا في الحربِ ، ومُسْتَوْدَعًا كبيرًا للغذاءِ ، ولذلك كانتِ الإبلُ من الحيواناتِ القليلةِ المتعدِّدَةِ الأغراض التي استأْنَسَهَا الإنسانُ، وقلَّما نَجِدُ عندَ الشعوبِ الأخرى، ما يُنافِسُ الإبلَ من حيثُ تعدُّدُ خدماتِهَا ، فالخيْلُ مثلًا مَجالُها الطبيعيُّ محصورٌ في ميدانِ القِتَالِ والمواصلاتِ ، وهي مِنْ مَراكب صفْوةِ الناس من النبلاءِ والفرُسانِ ، وإن استُخْدِمَتْ في الطعام فهو استخدامٌ عرَضيٌّ جانبيٌّ . والبقرُ حيواناتٌ تصلُحُ للاستقرَارِ ، فهي وإن أدَّتْ للإنسانِ خدماتٍ جليلةً في إمْدَادِهِ بالغذَاءِ ومُساعدتِهِ على الزِّرَاعة تقصر عن الإبل في ميدانِ المواصلاتِ والحمْلِ والتحمّلِ وغيرِ ذلك. ولا نريدُ أن نتطرَّقَ إلى الحيواناتِ الأخرى التي استأنَسَهَا الإنسانُ ، أو استخدمَها في شؤونِهِ الدُّنْيَوية ، فهي تَقِلُّ عن الجملِ لدرجةٍ كبيرةٍ جدًّا ، حتى لنحْسَبُ أنَّ الموازَنَة بينها وبينه ساذَجَةٌ لا قيمَة لها.

ولهذا التَّعَدُّدِ في المنافعِ جَعَل الله تعالى الإبلَ في القرآن الكريم من الظواهِرِ الضَّخْمَةِ ، التي يجْدُرُ بالإنسانِ أن يتأمَّلَهَا ويُدِيمَ النَّظرَ فيها، حينَ يؤمِنُ بقدرةِ الله وعَظمَتِهِ . ولقد قَرَنَ الله تعالى الإبلَ بالظواهِرِ الطبيعية الكُبْرى في قوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الغاشية .

فهي آيةٌ من آيات الله الكبرى ، التي تدعو إلى التفكر ، والاعتبار . وفي آية أخرى تتجسد تلك النعم التي من الله بها على عباده بخلق الإبل ، ودعاهُم إلى تأملها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون .

ولِتَعَدُّدِ منافعِ الإبل وما جلبتْه للعربي من خير عميم دخلتْ في حياته، فرافقتْه في حِلِّهِ وترْحالِه، وحرْبه وسلْمِه ، وشاطرتْه في عيشته، وملأت عليه أوقاتَه، وكان لها صدىً كبيرٌ في تكوين تفكيرِه، وتلوين معيشتِه ، وإثراءِ لُغَتِه وأدبِهِ ، وتكييفِ سُلوكِهِ وأخلاقِهِ ، وصنيع عاداتِه وأعرافِه ، وكانت لذلك من أهمِّ المُكوِّنَاتِ لتُراثِه الثَّقافيّ بملامحِه المختلفةِ.

ومن الإبلِ المشهورةِ الناقةُ القصْوَاءُ ، ناقةُ رسولِ الله ﷺ ويُقال إنَّهاَ حَمَلَتْهُ في هجرتِه من مكَّةَ إلى المدينةِ ، ومن الثَّابتِ أنَّها حملَتْهُ - عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - في حجَّةِ الوَداعِ ، وعليْهَا خطَبَ خُطْبَتَهُ المشْهورةَ يومَ عَرفَةَ.

ولعل مما يميز اللغة العربية عن بقية اللغات السَّامية الأُخرى كثرة ما اخترعته هذه اللغة من أسماء الإبل وصفاتها، وهي كثرة لا يناظرها عدد في تلك اللغات ، وإلى جانب الأسماءِ هناك مئات الصفات التي أطلقها العربي على الناقة أو الجمل ، في مختلفِ الأحوال والظروف التي يمرُّ بها هذا الحيوان. ونتيجة لهذه الكثرةِ المُفرِطَةِ في الأسماء والأوصَاف الخاصة بالإبل ، نال اللغة العربية ثراء واسع في ألفاظها ومفرداتها وتعبيراتها.

وهكذا نَرَى أن التُّراث الذي خلَّفه الأجداد عن الإبل تراث هائل ، يكوِّن جزءًا كبيرًا من تراث الجزيرة العربية.

أسـئـلـة

١ - ما علاقة الإنسان العربي بالجمل؟

٢ - التكوين العضوي للجمل يجعله مخلوقًا قادرًا على تحمل المشاق . أوضح ذلك.

٣- الجمل رفيق مثالي للعربيّ في بيئته الصحراوية ، أوضح ذلك.

٤ - استحوذ الجمل على تفكير العربي وكانت له مكانة عنده . فكيف كانت هذه المكانة؟

٥ - وازن الكاتب بين الجمل والخيل والبقر. فماذا قال؟

٦ - ذكر القرآن الكريم النعم التي منّ الله بها على عباده بخلق الإبل . ما الآية التي اشتملت على ذلك؟ وما النعم التي ذكرتها للإبل؟

٧ - كانت الإبل من أهم المكوِّنات لتراث العربي الثقافي . أبيّن ذلك.

٨ - كانت الجمال سببًا من أسباب معركة خالدة بين المسلمين والكفار. أشرح ذلك.

٩ - لم سميت الحرب المشهورة بين علي بن أبي طالب من جهة وطلحة والزبير وعائشة - رضي الله عنهم - من جهة أخرى بحرب الجمل؟

١٠ - ماذا عرفت عن القصواء؟

١١ - ميَّزت الإبل اللغة العربية عن بقية اللغات السامية . كيف كان تلك؟

تدريـبـــــات

١ - يمكن تقسيم الموضوع إلى عدة أفكار رئيسة. أحدِّدها.

٢ - أوضح معاني الكلمات التالية مع الاستعانة بالمعجم عند الحاجة : عريقة ، مفازات ، شظف، اقشعرَّ.

٣ - وردت كلمة (علاقة) في أول سطر مرتين . أعربها في كلتا المرتين.

٤ - ما معنى (اقشعرَّت الأوطان)؟

٥ - آتي من ثلاث الفقرات الأولى ما يرادف كلا من الكلمات التالية : تسهيل ، العالي ، يدَّخر ، يعتني، يواجهه.

٦ - (الخُفُّ) للبعير . فلأيِّ شيء تستخدم الأسماء التالية : الحافر ، السنبك ، المخلب ، الظِّلف.

٧ - ورد في إحدى الفقرات كثير من الكلمات المتضادّة . أحدِّد الفقرة ، وأستخرج ما أجده من تلك الألفاظ.

٨ - ما معنى (شاطرته) في قوله : شاطرته عيشته ؟ ومن أين اشتقت الكلمة ؟ آتي بمثال من عندي أستخدم فيه إحدى اشتقاقات الكلمة.

٩ - أستخدم المفردات التالية في أمثلة من إنشائي : قلَّما ، تتجسَّد ، استحوذ ، عَرَضي.

١٠ - أضبط الفقرتين الأخيرتين بالشكل.

١١ - أعرب العبارة التالية : والحقُّ أن لهذا الحيوان ميزاتٍ كثيرةً .

والحمد للّه أولًا وآخرًا

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين